روايات مصرية للجيب

مغامرات

قضية بحيرة الأسرار

سلسلة الغاز بوليسية مثيرة للشباب

٤ × ٢

٣٤

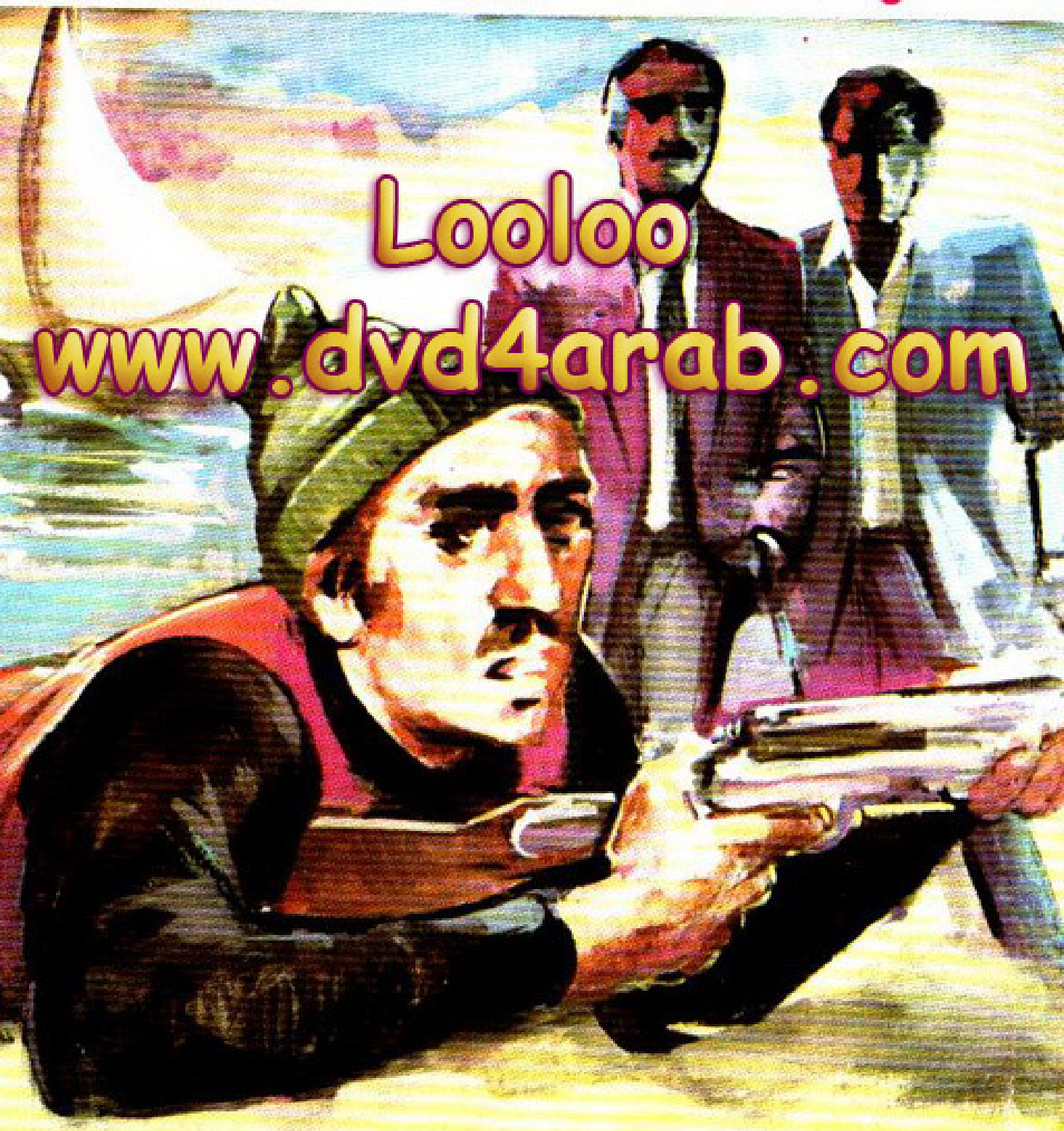

Looloo
www.dvd4arab.com

١ ــ حادث غامض ..

مالت الشمس للمغيب ، على بحيرة (البرلُس) ، إحدى أكبر بحيرات (مصر) ، وسقطت أشعتها الذابلة على فتاة ، فى أواخر العقد الثانى من عمرها ، تجلس صامتة ، فوق سور ذلك الكورنيش الممتد ، على طول شاطئ البحيرة ، فى بلدة (بلطيم) ، متطلّعة فى شوق إلى البحيرة الهادئة ، التى تمتدُّ أمامها على مَرْمَى البصر ، وشفتاها تحملان ابتسامة لهفة خافتة رصينة ، مع كل مركب صيد يلُوح فى الأفق ..

وفى صمت ، اقترب منها شاب فى مثل عمرها ، ووقف خلفها صامتًا بعض الوقت ، حتى أنها لم تشعر بوجوده ، إلى أن غمغم فى خُفُوت :

ــ ألَمْ يصل بعد ؟

ارتجفت لدى سماعها صوته ، ثم لم تلبث أن ابتسمت فى مودَّة ، وهى تلتفت إليه ، قائلة فى مرح :

ــ ليس بعد .

ثم عادت تلتفت إلى البحيرة ، مستطردة :

ـــ ولكنه لن يلبث أن يصل ، فالشمس على وشك الغروب .

عاد الصمت يلفّهما لحظات أخرى ، قبل أن يعتليَ هو سور الكورنيش ، ويجلس إلى جوارها ، ويضمّ ركبتيه إلى صدره ، ويحتضنهما بذراعيه ، ويقول :

ـــ ألا توافقينني على أنه ينبغي لوالدك أن يمتهن بيع الأسماك فحسب ، ويبتعد عن صيدها ؟.. إنه في الخامسة والستين .. أليس كذلك ؟

ابتسمت ، وهي تقول :

ـــ ولكنه ما يزال أكثر صحة من شاب في الثلاثين ، وهو يحب عمله .

قال في إصرار ، وكأنه يرفض خسارة المحاورة :

ـــ ليس تمامًا .. لقد كان يخرج للصيد وحده فيما مضى ، أما الآن ، فهو يستعين بـ (جمعة) ، وهذا يَعْني أنه قد صار أكبر سنًّا ، وليس في هذا ما يعيب ، فالزمن هو الخصْم الوحيد ، الذي يستحيل الانتصار عليه ..

اتسعت ابتسامتها ، وهي تقول :

ـــ ولكنه ما زال يحبّ عمله .

كانت ابتسامتها جذّابة ، حتى أنه لم يشأ الاستمرار في مجادلتها ، فلاذَ بالصمت وهو يتأمّل ملامحها في شغفٍ ، حتى رأى أساريرها تتهلّل ، ورآها تَهُبُّ من مجلسها ، هاتفةً :

ـــ ها هو ذا .

التفت إلى حيث تشير هي بكل لهفة وفرح ، وراقب ذلك المركب الشراعيّ الصغير ، الذي يعبُر البحيرة متجهًا إلى شاطئها ، وابتسم مع سعادتها ، وهي تهتف :

ـــ لقد وصل .. ألَمْ أقُل لك إنه لن يلبث أن يصل ؟.. أراهنك أنه يحمل في مركبه طنًّا من الأسماك .

ضحك الشاب ، وهو يقول :

ـــ طنًّا دفعة واحدة .. هذا يَعْني أنه قد أفرغ نصف البحيرة .

هتفت في فرح ، وهي تصفّق بكفّيها في جَذَل كالأطفال :

ـــ أو كلها .. إنك لا تعرف والدي يا (عوض) .

ابتسم (عوض) في حنان ، وهو يغمغم :

ـــ بل أعرفه .. أعرفه يا (فاطمة) .

عاودتهما نَوْبَة الصمت ، وهما يتطلّعان في لهفة إلى المركب الشراعي ، الذي راح يقترب ، ويقترب ، ويقترب ، حتى غمغمت (فاطمة) في توتُّر وقلق :

ـ أين أبى يا تُرى ؟.. لقد اعتاد أن يلوّح لى بكفّه ، وهو يقترب من المرْسَى .

كان (عوض) يعلم أنها عادة والدها بالفعل ، مما أورثه بعض القلق ، وهو يغمغم بدَوْره .

ـ لعله يستعد لِطَىّ الأشرعة ، أو .....

لم يتمّ عبارته ؛ لأن صوته بدا له غير مقنع ، مما جعله يفضّل التزام الصمت ، وهو يتطلّع فى قلق إلى المركب ، الذى ظهر من خلف شراعه ذلك الشاب (جمعة) ، ببُنيانه المتين ، ووجهه النحيل الصلب ، الذى بدا فى تلك اللحظة شاحبًا ، إلى حدّ دفع (فاطمة) للهتاف فى توتُّر بالغ :

ـ أين أبى يا (جمعة) ؟

تطلّع إليها الشاب بعينين محمرَّتين ، وأطرق بوجهه ، وكأنه لم يسمعها ، وهو يلقى المِرْساة ، ويهبط من المركب فى المياه الضحلة ، ويربط حبله بقائم المرسَى ، فصاحت به مرّة أخرى ، وقد بلغ قلقها ذِرْوَته :

ـ أين أبى ؟

بدا وكأنه لا يجرؤ على رفع عينيه إليها ، وهو يلتفت إليها ، مغمغمًا :

ـ لقد هبط عند الجزيرة .

صاحت فى عصبيّة :

ـ وماذا فى ذلك ؟.. إنه يفعل هذا فى كل مرّة .. ألَمْ يَعُد معك ؟

غمغم فى صوت حزين :

ـ كان من المفروض أن يفعل ، ولكن ....

امتقع وجهها لِبَتْرِهِ العبارة عند تلك النقطة ، فصاحت فى ذُعر وشُحُوب :

ـ ولكن ماذا ؟

كادت تسقط مغشيًّا عليها ، حينما رفع عينيه إليها ، وهو يتمتم فى مرارة :

ـ صدّقينى .. لقد بذلت أقصى ما بوسعى .

تراجعت كالمصعوقة ، وهى تهتف فى شُحُوب وارتياع :

ـ هل ..... ؟.. هل مات ؟..

صاح فى ذُعر :

ـ كلّا .. كلّا ..

ثم خفتت صوته ، وهو يستطرد فى ألم :

ـ لقد اختفى .. اختفى تمامًا ..

* * *

ثم خفت صوته ، وهو يستطرد فى ألم :

ــ لقد اختفى .. اختفى تمامًا ..

٢ ــ اللُّغز ..

« اختفى ؟! » ..

غمغم الصحفى (عصام كامل) بتلك الكلمة فى حَيْرَة ، ثم عقد حاجبيه ، وهو يميل نحو (فاطمة) ، التى أجهشت بالبكاء فى مكتبه ، وسألها فى صوت يحمل رِنَّة إشفاق :

ــ وهل أبلغتم الشُّرطة ؟

أجابته باكية :

ــ بالطبع يا أستاذ (عصام) .. لقد أبلغت الشرطة ، فليس لأبى سواى ، إذ أننى ابنته الوحيدة ، ولقد تُوُفِّيت أُمى منذ عامين .

سألها فى اهتمام :

ــ وما الذى أسفرت عنه تحرِّيات رجال الشرطة ؟

هزَّت رأسها نفيًا فى مرارة ، وهى تقول :

ــ أسفرَتْ عن لا شىء .. لقد فتشوا البحيرة كلها ، نظرًا لأنها ليست عميقة كما تعلم ، ونقَّبوا كل شبر فى تلك الجزيرة ، التى

تتوسَّط البحيرة ، واحتجزوا (جمعة) عدَّة أيام ، استجوبوه خلالها فى اهتمام بالغ ، ظنًّا منهم أنه قد قتل أبى ، بعد خلاف بينهما ، إلا أن كل هذا لم يسفر عن شىء ، ولقد انتهت تحرِّيات الشُّرطة إلى أنه من المستحيل أن يكون أبى قد قُتِلَ ، حيث إنه لم يتم العثور على جثته أبدًا .

غمغم (عصام) :

ــ وهكذا قيِّد الحادث ضد مجهول .

أجابته فى ألم :

ــ إنهم حتى لم يوافقوا على اعتباره مجرَّد حادث .. كل ما قالوه ، وما ذكروه فى أوراقهم الرسمية ، هو أنه قد اختفى فى ظروف غامضة .

صمت (عصام) لحظات وهو يعقد حاجبيه مفكِّرًا ، ثم سألها فى اهتمام :

ــ هل راوَدك الشكّ فى (جمعة) ؟

هزَّت رأسها نفيًا فى ثقة ، وهى تقول :

ــ ولا حتى لحظة واحدة ، فأبى هو الذى قام بتربية (جمعة) ، منذ تُوُفِّىَ والداه من عشرين عامًا ، و (جمعة) يعتبره كوالده ، ومن المستحيل أن يسىء إليه .

صمت (عصام) لحظات أخرى ، قبل أن يسألها فى اهتمام :

ــ ولماذا أنا ؟.. أغنى لماذا قرَّرت الاستعانة بى بالذات ؟

أجابته فى لهجة أقرب إلى الضَّراعة :

ــ لم أجد فى عقلى سواك ، بعد أن فشل رجال الشرطة فى تحديد مصير أبى .. لقد قرأت كل تحقيقاتك ، وأعلم أنك تملك العقلية اللازمة ، لعمل التحرِّيات الخاصة عن اختفاء أبى ، و .....

تسلَّلت إلى صوتها رنَّة خجلَى ، وهى تردف فى خُفوت :

ــ وسأدفع كل المصاريف اللازمة بالطبع .

تنهَّد ، وهو يغمغم فى استنكار :

ــ المصاريف ؟!

ثم عاد يزفر فى عمق ، متمتمًا فى خُفوت ، أشبه بهمس غير مسموع :

ــ المشكلة ليست فى المصاريف ، ولكن والد (عماد) و (عُلا) قد منعهما من العمل معى بتاتًا ، بالإضافة إلى أنهما يجتازان امتحانات آخر العام ، ومن المستحيل أن أستعين بهما ، و .....

سألته فى دهشة :

ــ ماذا تقول يا أستاذ (عصام) ؟

لوَّح بكفِّه ، مغمغمًا :

ــ لا شىء .. لا شىء ..

وتنهَّد مرَّة ثالثة فى عمق ، قبل أن يضيف :

ــ لا بأس يا آنسة (فاطمة) .. سأتولَّى قضية اختفاء والدك .

تهلَّلت أساريرها ، وهى تهتف فى امتنان :

ــ كيف يمكننى أن أشكرك ؟

أجابها فى حزم :

ــ بأن تتظاهرى بأننا لم نلتقِ أبدًا .

حدَّقت فى وجهه بدهشة ، فأردف :

ــ حتى نعلم أى لُغز يختفى فى (بحيرة الأسرار) هذه .

* * *

كانت المرَّة الأولى ، التى يذهب فيها (عصام) إلى مدينة (بلطيم) ، التى تطلّ على بحيرة (البرلس) ، وتتبع محافظة (كفر الشيخ) ، والتى يتبعها ذلك المصيف الهادئ الجميل ، الذى يحمل الاسم نفسه ، والذى يقع على بعد كيلومترات

قليلة منها ، ولقد بدت له المدينة جميلة ، مريحة للنفس ، على الرغم من بدائيتها ، ولم يكد يُوقف سيارته إلى جوار كورنيش البحيرة ، حتى التفَّ حوله عدد من الصِّبية ، يسألونه عمَّا إذا كان ينشد منزلًا فى المَصيف ، لقضاء إجازة الصيف ، التى بدأت منذ أيام قليلة ، أو قاربًا يتنزَّه به فى البحيرة ، فابتسم فى وجوههم ، وهو يقول :

ــ لا هذا ولا ذاك أيها الصِّبية ، إنما أتيت أبحث عن صديق لوالدى ، يدعى الحاج (البرجاوى) .

ارتسم الوجوم على الوجوه ، وتبادل الصِّبية نظرات القلق والحَيْرة ، ثم غمغم أحدهم فى حزن :

ــ أتريد مقابلة (فاطمة) ؟

كان (عصام) بارعًا ، وهو يقول فى دهشة :

من (فاطمة) هذه ؟

أجابه أحد الصِّبية فى سرعة :

ــ إنها ابنة الحاج (البرجاوى) .

ضحك (عصام) ، وهو يقول :

ــ أعتقد أنه من الأفضل أن ألتقى بالحاج نفسه .

سأله أحدهم فى دهشة :

ــ ألم تعلم ما الذى أصاب الحاج ؟

هتف (عصام) فى انزعاج :

ــ هل مات ؟

تبادل الصَّبية نظرة متردِّدة ، ثم قال أكبرهم :

ــ كلَّا .. ومن الأفضل أن تلتقِىَ بـ (فاطمة) .

وكان هذا يَعْنِى نجاح الجزء الأوَّل من خُطَّة (عصام) ..

* * *

أتقنت (فاطمة) أيضًا أداء دورها ، وهى تستقبل (عصام) فى منزلها ، أمام (جمعة) ، والحاج (فهمان) ، كبير تجَّار الأسماك فى المدينة ، وتظاهرتا بأنها تراه للمرَّة الأولى ، وتظاهر هو بالدهشة والجزع ، وهى تخبره أمامهما بما أصاب والدها ، فعقد الحاج (فهمان) حاجبيه فى رِيبة ، وهو يقول :

ــ عجبًا يا أستاذ (عصام) !!.. إننى صديق للحاج (البرجاوى) منذ شبابنا ، ولست أذكر أبدًا أنه كانت تربطه رابطة صداقة ، بأحد أفنديات (القاهرة) !

أجابه (عصام) فى هدوء :

ــ ربَّما هى ليست صداقة بالمعنى المفهوم .. لقد التقى والدى ــ رحمه الله ــ بالحاج (البرجاوى) ، عندما كان يستأجر مركبة للنزهة فى البحيرة قديمًا ، و .....

بتر عبارته بغتة ، عندما امتقع وجه (فاطمة) ، وبرقت عينا (فهمان) ، وهو يبتسم ابتسامة لَمْ تُرُق له ، قائلًا :

ــ آه .. عندما كان يستأجر قاربه للنُّزهة .. لقد فهمت .

ولم يمهله الحاج (فهمان) ، ليدرك معنى كل هذا ، فقد نهض ، مستطردًا فى حزم ، وعيناه تحملان بريقًا ساخرًا :

ــ مرحبًا بك على أيَّة حال يا أستاذ (عصام) .

وانصرف على الفور ، وتبعه (جمعة) بعد لحظات ، وهو يغمغم :

ــ كنت أتمنَّى أن يستقبلك الحاج (البرجاوى) بنفسه يا أستاذ (عصام) ، ولكن ما باليد حِيلة .

تطلَّع إليه (عصام) طويلًا ، قبل أن يقول فى هدوء :

ــ إنه القدر يا (جمعة) ، وأظنُّك تستطيع أن تحلَّ محله .. أليس كذلك ؟

شَحُب وجه (جمعة) قليلًا ، واختلس نظرة متردِّدة إلى (فاطمة) ، التى أومأت برأسها فى خُفُوت ، فأجاب :

ــ بلى .. يمكننى ذلك يا أستاذ (عصام) .

ولم يكد ينصرف بِدَوْرِهِ ، حتى التفت (عصام) إلى (فاطمة) ، وسألها فى قلق :

ـ ما الذى حدث بالضبط :

ازداد وجهها شُحُوبًا ، وهى تجيب :

ـ إن والدى لم يؤجّر مَركبه للنُّزهة يا أستاذ (عصام) .. أبدًا ..

* * *

كاد الليل ينتصف ، و (عصام) جالس على كورنيش البحيرة ، يتطلّع إليها فى شرُود ، وأفكاره تسبح بعيدًا ..

لقد كشف نفسه أمام (جمعة) ، والحاج (فهمان) ، عندما أخطأ فى شرح صلة والده المزعومة بالحاج (البرجاوى) ، وهذا يَعْنى أنهما سيشكّان بالضرورة فى طبيعة حضوره إلى (بلطيم) ..

ولكن هل يستحق ذلك كل قلقه ؟..

إن أحدهما هو صديق عمر للحاج (البرجاوى) ، والآخر بمثابة ابنه ، ومن الطبيعى أن يسعيا لكشف غموض اختفائه ، لا العكس ..

وقد يعرّضه كشف طبيعة مهمّته إلى بعض الخطر !..

وقد لا يحدث شىء على الإطلاق !.

هذا يتوقّف على السرّ وراء اختفاء (البرجاوى) ..

وفجأة ، امتلأت رأسه بصورة (جمعة) ..

إنه شاهد العيان الوحيد ، الذى يمكنه إلقاء الكثير من الضوء على ذلك الحادث الغامض ..

وما الذى يمنع أن يكون (جمعة) نفسه ، هو السبب فى ذلك الاختفاء ؟!..

صحيح أن الحاج (البرجاوى) كان يعتبره بمثابة ابنه ، ولكن هذا لا يَعْنى أن (جمعة) كان يعتبر الحاج بمثابة والده ..

أو قد .....

توقّفت أفكاره فجأة عند ذلك القدر ، وهو يحدّق فى سطح البحيرة ، التى سقط عليها ضوء القمر ، فجعلها أشبه بالمرآة ..

واتسعت عيناه فى دهشة وتوتُّر ، حينما لمح ذلك المشهد ، الذى تعكسه تلك المرآة ..

لقد كان هناك رجلان ، يتقدّمان نحوه فى حَذَر ..

وكان فى يد كل منهم خِنجر ..

خِنجر قاتل حادّ ..

* * *

٣ ــ صراع فى البحيرة ..

حدث كل شىء فى سرعة عجيبة ، وتعاقب مدهش ..

لم تكد عين (عصام) تلتقط تلك الصورة المنعكسة ، لمشهد الرجلين ، اللذين يتسلّلان خلفه ، وهما يحملان خِنجريهما ، حتى قَرَّرَ أن يستدير لمواجهتهما بالسرعة الكافية ..

ولقد فعل ..

استدار بحركة خاطفة يواجه الرجلين ، اللذين تحرَّكا أيضًا فى سرعة مدهشة ، وبمبادرة محترفة ، فقفز أحدهما يمينًا ، ومال الآخر يسارًا ، وهو يهوى بِنَصْلِ خِنجره على قلب (عصام) ..

وبحركة غريزية ، قفز (عصام) جانبًا ، متفاديًا نَصْلَ الخِنجر ، ونجح فى تفاديه بالفعل ، فتحرَّكت قبضته ، واندفعت كالقنبلة فى معدة الرجل ، الذى انثنى ، وهو يطلق صرخة مكتومة ، على حين انقضَّ زميله على (عصام) فى شراسة ..

وحاول (عصام) أن يتفادى نَصْلَ الخِنجر ، هذه المرَّة أيضًا ، إلا أن النَّصل الحادّ أصاب قميصه ، ومزَّق جزءًا من كمِّه ، وجرح ذراع (عصام) ، الذى تراجع فى حركة حادَّة ، وخفق قلبه فى ذُعر ، عندما رأى الرجل الأوَّل ينهض لينضمّ إلى زميله ، ويَشْهَر الاثنان خِنجريهما فى وجهه ..

وفجأة ، اندفع النَّصلان نحو عنقه ، فتراجع فى حركة بالغة العنف ، وانثنى جسده إلى الخلف ، فى محاولة لتفادِى النَّصلين ، وكان من جرَّاء حركته أن ارتطم بسور كورنيش البحيرة ، فاختلَّ توازنه ، وسقط فى البحيرة ..

كان دَوِىُّ ارتطامه بالماء كفيلًا بإيقاظ نصف سكَّان المدينة على الأقل ، أو هكذا خُيِّل له ، من فرط ذُعره ، وهو يصطدم بالقرار ، فى تلك البقعة الضَّحلة ، إلا أنه لم يُولِ ذلك اهتمامًا كبيرًا ، وهو ينهض واقفًا ، استعدادًا لصد أى هجوم جديد من خصميه ..

وفجأة ، قفز نحوه أحد الرجلين ، وسقط كلاهما فى الماء مرَّة أخرى ، ومن وسط خيوط الماء ، التى سالت أمام عينيه ، وهو ينهض مقاتلًا خصمه ، رأى (عصام) الرجل الآخر يقفز فى البحيرة ، ويرفع خِنجره بدوْره ، وهوَى الخِنجران نحو جسده فى آن واحد ..

* * *

وانثنى جسده إلى الخلف ، فى محاولة لتفادى النَّصلين ، وكان من جَرَّاء حركته أن ارتطم بسور كورنيش البحيرة ..

أقسم (عصام) فى قرارة نفسه ، فى ذلك الجزء من الثانية ، ما بين ارتفاع الخِنْجَرَين ، واستعدادهما للانقضاض على قلبه ، أن نهايته قد أتت ولا ريب ، وأن حياته القصيرة ستختم بطعنتين قاتلتين ، على شاطئ بحيرة (البرلُّس) ..

ثم ظهر ذلك الرجل ..

كل ما رآه (عصام) فى البداية ، وعلى ضوء القمر ، عبارة عن جسد يقفز من فوق سور الكورنيش إلى البحيرة ، ويقبض بقبضتيه على معصَمَي الرجلين ، قبل أن يغمدا خِنجريهما فى قلبه ..

ثم خُيِّل إليه أنه يحلُم ، أو أنه يشاهد ما تمنَّى مشاهدته ، وليس الحقيقة ..

لقد رأى الرَّجُلَيْن يلتفتان إلى خصمهما الجديد ، والوحشية والشراسة يطلَّان من عيونهما فى قوة ، ثم رأى قدم ذلك الخصم تتحرَّك فى سرعة ، فتغوص فى معدة أوَّل الرجلين فى عُنف ، جعل الرجل ينثنى ، وهو يتأوَّه فى قوة ، على حين اندفعت قبضة الرجل الثانى ، تحاول الارتطام بفكّ ذلك الخصم ، الذى انحنى متفاديًا اللَّكمة ، ثم انتصب لتندفع قبضته كالقنبلة ، محطِّمة أنف الرجل ، والتفت إلى الثانى ،

وتفادى لكمته فى براعة ، ولكَمهُ لكمتين متعاقبتين فى أنفه وفكّه ..

وفجأة ، نهض الأوّل ، وانتزع من حزامه مسدّسًا ، وصوّبه إلى ذلك الخصم المجهول ، و .....

وأطلق النار ..

* * *

تجمّد (عصام) فى ذُعر ، حينما رأى الرجل يصوّب مسدّسه إلى ذلك الخصم ، وارتجف جسده فى قوة ، عندما سمع ذلك الصوت المكتوم ، الذى صدر من فُوّهة المسدّس ، المزوّد بكاتم للصوت ، ثم تلاشى بجوده ، وهو يتراجع فى حدّة ، حينما أصابت الرصاصة هدفًا ..

ومن حُسْنِ الحظ أن ذلك الهدف لم يكن خصم الرجلين ، ومنقذ (عصام) ..

لقد أخطأته الرصاصة ، وأصابت الرجل الثانى ..

وجحظت عينا الرجل فى ألم وذُهول ، ثم ترنّح ، وسقط على وجهه داخل البحيرة ، جثة هامدة ، واصطبغت المياه بدمه ..

وبسرعة ، ودون أدنى انفعال ، أدار الأوّل فُوّهة مسدّسه

إلى رأس ذلك المنقذ المجهول ، الذى قفز جانبًا فى سرعة مدهشة ، وانقضّ على الرجل ..

ومن العجيب أن (عصام) لم يجرؤ على إتيان حركة واحدة ، أو حتى على معاونة مُنقِذِهِ ، وهو يقاتل الرجل فى عُنف ..

ثم صكّ مسامعه صوت رصاصة مكتومة ..

ونهض أحد المتقاتلين ..

وتراجع (عصام) فى ذُعر ..

لقد كان ذلك الذى نهض خصمًا ..

كان الرجل الذى يمسك بالمسدّس ..

* * *

كان هذا التعاقب المثير أكبر مما تحتمل أعصاب (عصام) ؛ لذا فقد وجد نفسه ينفجر صارخًا :

ــ كلّا .. لن ترث البحيرة أبدًا .

بدت له العبارة خرقاء ، بلا معنى ، وهو يندفع نحو الرجل ، مستعدًّا للاشتباك معه ..

وفجأة تجمّد فى مكانه ، وتراجع خطوة فى دهشة ، حينما رأى الرجل يترنّح فى قوة ، ولمح فجأة خيط الدم ، الذى يسيل

من عنقه ، قبل أن يهوىَ الرجل كالحجر ، فى قلب المياه المالحة ..

ونهض ذلك المنقذ المجهول ، فى نفس الوقت الذى انطلقت فيه أبواق سيارة شرطة تقترب ، فقفز المنقذ نحو (عصام) ، وجذبه من معصمه ، قائلًا فى لهجة حازمة :

ــ هيَّا .

كانت أوَّل كلمة ينطق بها ذلك المنقذ المجهول ، منذ ظهوره المباغت ، وقد بدأ صوته مألوفًا لـ (عصام) ، وإن عجز لحظتها على تذكُّر أين ، ومتى سمعه ، إلا أنه أسلس قياده للرجل ، الذى راح يعدُو معه إلى جوار سور الكورنيش ، وسط المياه والطمى ، حتى ابتعدا عن موقع إصابة الرجلين ، الذى توقَّفت عنده سيارة الشرطة ، فسأل الرجل (عصام) :

ــ أين سيارتك ؟

أجابه (عصام) فى توتُّر :

ــ هناك .

ثم توقَّف بغتة ، هاتفًا :

ــ يا إلهى !!.. هذا الصوت .. لقد تذكَّرتك .

دفعه الرجل لمواصلة العَدْوِ ، وتسلَّق سور الكورنيش إلى الجانب الجاف ، وهو يقول فى صرامة :

ــ ليس هذا وقت التذكُّر ، سنناقش كل ذلك فيما بعد .

ركض (عصام) إلى جواره حتى موضع سيارته ، ففتح بابها ، وقفز خلف عجلة القيادة ، وفتح الباب المجاور للرجل ، الذى احتل المقعد المجاور له ، وقال فى لهجة صارمة آمرة :

ــ هيَّا .. اتخذ الطُّرقات الجانبية ، ولا تُضِئْ أنوار سيارتك ، حتى نبتعد ، وانطلق فى طريق المَصِيف .

أطاع (عصام) الأوامر بلا نقاش ، حتى بلغت بهما السيارة أوَّل طريق المَصِيف ، فضغط (عصام) دَوَّاسَة السرعة ، وأضاء أنوار السيارة ، وانطلق بها نحو مَصِيف (بلطيم) ، وهو يتنهَّد ، هاتفًا فى ارتياح :

ــ أظن أننا قد نجونا من ذلك الموقف .. أليس كذلك ؟

أجابه رفيقه فى بُرُود شديد :

ــ بَلَى .

ابتسم (عصام) والتفت إلى رفيقه بنظرة خاطفة ، وهو يقول :

ـ كنت واثقًا من أننى أعرفك ، أنت العقيد (عادل محمود) .. لقد التقينا من قبل(*) .

ابتسم (عادل) فى سُخرية ، وهو يقول :

ـ يا لقوة ذاكرتك !

اختلس (عصام) النظر إلى العقيد (عادل محمود) ، رجل الشرطة السابق ، بملامحه الوسيمة ، وشاربه الكثّ ، وعينيه الخضراوين ، وشعره الأسود الناعم ، الذى يصفّفه بأسلوب مميَّز إلى الخلف ، وقد زاده شيب فَوْدَيْه ، وزادته تلك الخصلة البيضاء فى منتصف جبهته وسامة وصرامة ..

وفجأة ، أوْقف (عصام) سيارته إلى جانب الطريق ، والتفت إلى (عادل) ، قائلًا فى حسم :

ـ اسمع يا سيادة العقيد السابق .. صحيح أننى أدين لك بحياتى ، وأننى أشعر بالامتنان الشديد تجاه ذلك ، إلا أن هذا يعجز عن إخماد تلك الأسئلة ، التى تلهب رأسى .. فهل لك أن تطفئ لهيبها ؟

ابتسم (عادل) ، واسترخى فى مقعده ، وهو يقول فى بساطة :

(*) راجع قصة (الحارس الليلى) .. المغامرة رقم (٣٣) .

ـ وما الوسيلة إلى ذلك ؟

أجابه (عصام) فى حِدَّة :

ـ قُلْ لى كيف وصلت إلى هنا ؟.. ولماذا ؟

ابتسم (عادل) فى سُخرية ، وقال :

ـ وصلت مستقلًا واحدة من سيارات الأجرة ، لقضاء إجازة المَصِيف بالطبع .

هتف (عصام) فى غضب :

ـ أنت تعلم أنها ليست الإجابات الشافية ، التى أتحرَّق شوقًا إليها .

اعتدل (عادل) ، والتفت إليه فى حزم ، وهو يقول :

ـ اسمع يا (عصام) .. صحيح أننا لم نلتقِ سوى مرَّتين ، ولكنك تعلم أننى خال خطيبتك (نهلة) ، ولقد كنت أفكِّر فى دعوتكما معًا ، لتناول طعام العشاء معى ، حينما علمت ـ باتصالى بجريدتك ـ أنك هنا ، فى (بلطيم) ، ولمَّا كنت أتابع صفحة الحوادث ، فلقد استنتجت أنك هنا بالضرورة ، من أجل حادث اختفاء ذلك الصيَّاد ، ولقد رأيت أن أشاركك المهمَّة ، وهذا كل شىء .

ساد الصمت بينهما لحظات ، وكل منهما يتطلَّع إلى عينى الآخر ، ثم قال (عصام) فى هدوء :

ـ كل شىء ؟!

أجابه (عادل) فى حزم :

ـ كل شىء .

ابتسم (عصام) ، وعاد يدير محرّك سيارته ، وهو يقول :

ـ هذا يُعِيد الأمور إلى نِصَابها إذن .

سأله (عادل) :

ـ أى نِصاب هذا ؟

اتسعت ابتسامة (عصام) ، وهو يقول :

ـ صحيح أننا لسنا الفريق الأصلىّ ، ولكن الحروف الأولى من اسمينا تصلح لحمل نفس اللَّقب .

وانطلق بالسيارة ، مردفًا :

ـ لقب (ع × ٢) ..

* * *

٤ ـ نحو الهدف ..

استرخى (عصام) فى مقعد وثير ، فى شُرفة ذلك المنزل الصيفىّ الصغير ، الذى يطلُّ على شاطئ (بلطيم) ، وداعب النوم جفنيه ، وهو يتطلّع إلى الأمواج المتلاحقة ، مغمغمًا :

ـ فكرة ذكية أن تستأجر منزلًا هنا يا سيِّد (عادل) ، فالمصيف يبدأ فى الازدحام ، فى هذا الوقت من العام ، ولن يثير تواجدك انتباه أحد .

ابتسم (عادل) ، وقال ساخرًا :

ـ هذا أكثر ذكاءً من البقاء فى مدينة (بلطيم) نفسها .. أليس كذلك ؟

عقد (عصام) حاجبيه فى ضيق ، وغمغم :

ـ تلك الفكرة لم تخطر ببالى فى الواقع .

ابتسم (عادل) ، وهو يناوله قدحًا من الشاى ، وألقى جسده فوق أقرب مقعد إليه ، وهو يقول :

ـ هل تعلم أنهم يطلقون على تلك المنازل الصَّيفيَّة هنا اسم (العِشَش) ؟

تمتم (عصام) فى ضَجَر :

ــ أعلم ذلك .

ثم التفت إليه ، مستطردًا فى اهتمام :

ــ دَعْنا من هذا الآن ، وأخبرنى ، هل تكوَّنت لديك أيَّة فكرة ، عن كل ما حدث ؟

هزَّ (عادل) رأسه نفيًا فى هدوء ، وهو يقول :

ــ ليس بعد .

اعتدل (عادل) ، وهو يقول فى حدَّة :

ــ مَنْ هذانِ الرَّجُلانِ ، اللذان هاجمانى أمس؟.. ولماذا فعلا ذلك ؟

أجابه (عادل) فى هدوء ، وهو يرتَشِف الشاى من قدحه :

ــ ستخبرنا تحقيقات الشرطة من هما ، أما لماذا فعلا ؟ فأظن أن ذلك يعود إلى معرفتهما لحقيقة شخصيتك ، وخشيتهما أن تتوصَّل إلى الحقيقة وراء حادث اختفاء (البرجاوى) .

عقد (عصام) حاجبيه ، وصمت لحظة ، وهو يتطلَّع إلى البحر ، ثم غمغم فى حزم :

ــ يبدو أن اختفاء (البرجاوى) أكثر خطورة مما تصوَّرنا بكثير .

أجابه (عادل) فى هدوء شديد ، بدا له أكثر غموضًا من الجواب نفسه :

ــ هذا طبيعى .

وقبل أن يسأله (عصام) عمَّا يَعْنِيهِ ، التفت إليه (عادل) ، وقال فى اهتمام :

ــ مَنْ يعلم بقُدُومك إلى (بلطيم) ؟

أجابه (عصام) :

ــ لقد التقيت بـ (جمعة) ، مساعد (البرجاوى) ، ورفيق صيده ، وبالحاج (فهمان) ، كبير تُجَّار الأسماك فى (بلطيم) .

سأله (عادل) فى اهتمام :

ــ فقط ؟

اعتدل (عصام) ، وهو يقول :

ــ نعم ، ولكن الجميع سيعلمون بقُدُومى بالتأكيد ، فلقد التقيت بعدد كبير من الصِّبْيَة ، عند مدخل المدينة ، وهم الذين أرشدُونى إلى منزل (فاطمة) .

صمت (عادل) طويلًا ، وهو يعقد حاجبيه فى تفكير عميق ، ثم قال :

ــ أظن أنه من الضرورى أن تعود إلى مدينة (بلطيم) .

ثم التفت إليه مستطردًا فى لهجة صارمة :

ــ يبدو أن تلك القضية ستحمل لنا مفاجأة .. مفاجأة مذهلة ..

* * *

ارتسم مزيج من الدهشة والاضطراب على وجه (جمعة) ، وهو ينهض لمصافحة (عصام) ، مغمغمًا :

ــ صباح الخير يا أستاذ (عصام) .. كيف حالك ؟

أجابه (عصام) فى هدوء :

ــ كيف حالك أنت يا (جمعة) ؟

تمتم (جمعة) فى لهجة تحمل كل القلق :

ــ فى خير حال .. شكرًا لك .

تطلّع إليه (عصام) لحظة فى هدوء ، ثم سأله :

ــ ماذا بك يا (جمعة) ؟.. إنك تبدو كما لو أن رؤيتى قد أدهشتك .

تردَّد (جمعة) لحظة ، ثم بدا وكأنه قد حسم رأيه بغتة ، حينما أجاب فى حزم :

ارتسم مزيج من الدهشة والاضطراب على وجه (جمعة) ، وهو ينهض لمصافحة (عصام) ..

ـ هذا صحيح فى الواقع .
سأله (عصام) :
ـ لماذا ؟
أجابه فى سرعة :
ـ كلنا كنَّا نتوقَّع عدم رؤيتك ثانية ، بعد حادث أمسٍ .
عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول :
ـ لحظة يا (جمعة) .. إن عبارتك تحمل الكثير من الغموض ، فما الذى تَعْنِيه بكلمة (نحن) ؟.. وما هو حادث أمسٍ ؟ ولماذا ربطتم بينى وبينه ؟
أجابه (جمعة) فى لهجة متوتِّرة ، حادَّة :
ـ كلمة نحن تَعْنِى جميع الكبار هنا .. أنا والحاج (فهمان) ، والرَّيِّس (حامد) ، والمعلِّم (مرسى) .
سأله (عصام) فى اهتمام :
ـ ومَنِ الرَّيِّس (حامد) والمعلم (مرسى) ؟
أجابه (جمعة) ، فى لهجة تحمل نَبْرَةَ تحدٍّ ، ولم يفهم (عصام) سببها :
ـ الرَّيِّس (حامد) هو كبير صيادى المدينة ، والمعلم (مرسى) صاحب أضخم ورشة لصنع مراكب الصيد .

أومأ (عصام) برأسه متفهِّمًا ، وهو يقول :
ـ عظيم .. ما الحادث إذن ؟
أجابه (جمعة) فى حِدَّة :
ـ مقتل الغريبين .
عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يسأله فى دهشة :
ـ الغريبان ؟!.. أى غريبين ؟
هتف (جمعة) :
ـ هذان اللذان عثرت عليهما الشرطة قتيلين فى البحيرة ، بعد منتصف ليل أمس .
سأله (عصام) فى دهشة حقيقية :
ـ أليسا من أهلْ البلدة ؟
رَمَقَهُ (جمعة) بنظرة شكٍّ وريبة ، قبل أن يقول :
ـ كلَّا بالطبع .. إننا لم نَرَ أحدهما من قبل .
ازداد انعقاد حاجبى (عصام) ، وهو يحاول هضم تلك النقطة ، ثم لم يلبث أن طرحها جانبًا مؤقَّتًا ، وسأل (جمعة) فى حزم :
ـ حسنًا .. لماذا ربطتم بينى وبين ذلك الحادث ؟
حَدجه (جمعة) بنظرة غامضة ، قبل أن يقول :

ـ لأنه عملك .. أليس كذلك ؟

غمغم (عصام) فى دهشة :

ـ عملى ؟!

أجابه (جمعة) فى حزم :

ـ نعم .. إنه حادث ، يخصُّ صفحة الحوادث ، يا أستاذ (عصام كامل) .

انعقد حاجبا (عصام) فى عُنف ، وهو يتطلَّع إليه فى دهشة ، ثم لم تلبث أساريره أن لانت ، وهو يقول فى برود :

ـ إذن فأنتم تعلمون من أنا منذ البداية .

أجابه (جمعة) فى تحدٍّ :

ـ نعم .. كُلُّنا نعلم من أنت

مضت لحظة ، وكل منهما يتطلَّع إلى الآخر فى تحدٍّ وبُرُود ، ثم مال (عصام) فجأة نحو (جمعة) ، وجذبه من قميصه ، قائلًا فى صرامة :

ـ لا بأس يا فتى .. إننى أفضِّل اللَّعب بأوراق مكشوفة ، والآن أريد مِنك أن تخبرنى بكل ما لديك ، عن واقعة اختفاء (البرجاوى) ، ودون إهمال تفصيل واحد ..

* * *

لم يكن (عصام) أبدًا من هُواة القيادة السريعة ، إلا أنه ، وفى تلك المرَّة بالذات ، وهو يقود سيارته عائدًا إلى مَصِيف (بلطيم) ، كان ينطلق بسرعة كبيرة ، وعقله يبحث كل ما سمعه من (جمعة) ..

لقد كانت قصة ذلك الأخير بسيطة ومنطقية للغاية ..

لقد خرج مع (البرجاوى) للصيد كالعادة ، وبعد أن جمعت شباكهما الكثير ، توجَّها إلى تلك الجزيرة ، التى تتوسَّط البحيرة ، لِشَىٍّ بعض الأسماك ، وتناول طعام الغداء ، قبل معاودة الصيد ..

وعلى الجزيرة ، انشغل (البرجاوى) بإعداد الأسماك وتنظيفها ، على حين ابتعد (جمعة) لجمع بعض الحطب للشَّىِّ ..

وعندما عاد ، لم يجد (البرجاوى) ..

لقد تصوَّر فى البداية أنه داخل المركب ، أو يقضى حاجته فى ركن ما ، ثم بدأ يقلق مع مرور الوقت ، وأصابه الذُّعر ، وهو يبحث عنه بعد ذلك فى الجزيرة ، وفى المركب ..

وبعد مرور ثلاث ساعات ، لم يعُد هناك مفرّ من الاعتراف ، بأن (البرجاوى) قد اختفى ..

ولقد كان من أقسى الأمور على نفس (جمعة) ، أن يعود أدراجه بدون أستاذه ومعلّمه ..

وهذه هى كل قصته ..

وعندما سأله (عصام) عما إذا كانت هناك مراكب أخرى فى الجوار ، عندما اختفى الرجل ، أجابه (جمعة) بأنه ، فى هذا الوقت بالذات ، لم تكن هناك أيّة مراكب سوى مركبهم عند الجزيرة ..

وهكذا صار اختفاء (البرجاوى) لغزًا وسرًّا ..

هزَّ (عصام) رأسه فى حَيْرَة وأسف ، حينما وصل إلى تلك النقطة ، وتطلَّع إلى مدخل مصيف (بلطيم) ، الذى لاح له عند مَرْمَى البصر ، وضغط كَمَّاحَةَ سيارته ، ليهدئ من سرعتها ، تمهيدًا لدخول المصيف ، ولكن .....

لم تكن لديه أيّة كمَّاحة على الإطلاق ..

لقد كانت سيارته تنطلق بأقصى سرعتها ..

وكذلك الموت ..

* * *

٥ ــ جريمة قتل ..

لم يصدّق (عصام) ، لأوّل وهلة ، أن كمَّاحَةَ سيارته ترفض الاستجابة له ، فالسيارة حديثة للغاية ، أهدتها إليه المخابرات المصرية ، بعد أن تحطَّمت سيارته فى إحدى عملياتهم(*) ، ومن غير الممكن أن تفسد كمَّاحَتُها بهذه السرعة ..

إلا إذا كان ذلك بفعل فاعل ..

اتسعت عيناه فى ذُعر ، عند تلك النقطة ، وبدا له الاحتمال منطقيًّا للغاية ، فقد ترك سيارته فى منطقة عامة ، عندما ذهب لمقابلة (جمعة) ، وكان من السهل على أى مخلوق أن يحلَّ كمَّاحَتها ويفسدها ..

ولكن من ؟..

من حاول قتله أمس ، واليوم ؟..

لم يكن الوقت يصلح للبحث عن الجواب ، بل كان يكفى

(*) راجع قصة (حرب المخابرات) .. القضية رقم (٢٥) .

فقط لتدبُّر أمر تلك السيارة ، التى تندفع فوق ذلك الطريق المنحدر ، الذى يقود إلى المَصِيف ، كوحش كاسر فَقَدَ السيطرة على مشاعره ..

وتلفَّت (عصام) حوله فى توتُّر ، ثم وجد الحل ..

كانت الكثبان الرملية ترتفع على جانبى الطريق فى كثافة ، فأمال (عصام) عجلة القيادة ، واندفع إلى جانب الطريق ، واقتحم الكثبان الرملية ، وتناثرت الرمال حوله فى عُنف ، بفعل دورات الإطارات ، التى لم تلبث أن زأرت مع مقاومة الرمال العنيفة ، وتوقَّفت ..

وداخل السيارة ، بقِىَ (عصام) متشبِّثًا بعجلة القيادة فى قوة ، غير مصدِّق أنه قد نجا ..

لقد فَشِلت محاولة قتله هذه المرَّة أيضًا ، وعليه أن ينتظر نتيجة المحاولة القادمة ، أو .....

أو ينسحب ..

* * *

انحنى (عادل محمود) يفحص السيارة فى اهتمام ، ثم اعتدل عاقدًا حاجبيه ، وقائلًا فى حزم :

ــ ما من شكّ فى ذلك ، إنها محاولة قتل متعمَّدة .. لقد قطع أحدهم سلك الكمَّاحة .

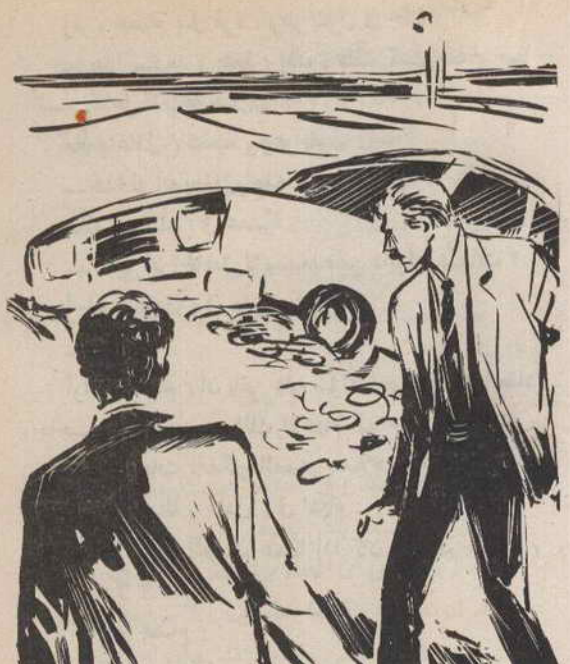

ثم اعتدل عاقدًا حاجبيه ، وقائلًا فى حزم :
ــ ما من شك فى ذلك ، إنها محاولة قتل متعمدَّة ..

زفر (عصام) فى قوة ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـــ هذا يستبعد (جمعة) إذن ، فلقد كنت معه ، حينما أفسد الفاعل كمَّاحَةَ سيارتى .

مطَّ (عادل) شفتيه ، وهو يقول :

ـــ هذا لو أنه يعمل وحده .

سأله (عصام) فى عصبيَّة :

ـــ أتعنى أن الحادث لا يستبعده من دائرة الشُّبهات ؟

أجابه (عادل) فى هدوء :

ـــ بالتأكيد .

أراد (عصام) أن يلقىَ عليه سؤالًا آخر ، إلا أن انعقاد حاجبى (عادل) ، وذلك الاهتمام الواضح فى وجهه ، والمختلط بعلامات التفكير العميق جعلاه يلُوذ بالصمت ، وينتظر حتى سأله (عادل) فى اهتمام :

ـــ قُلْ لى .. أتحرَّيت عما إذا كان لـ (البرجاوى) أعداء أم لا ؟

أجابه (عصام) :

ـــ كلَّا .. لم أفعل بعد .

أشار إليه (عادل) بسبَّابته ، قائلًا فى حزم :

ـــ افعل إذن .

سأله (عصام) فى حَيْرَة :

ـــ فِيمَ تفكِّر بالضبط ؟

اعتدل (عادل) ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ إننى أحاول استبعاد بعض الاحتمالات التقليدية أوَّلًا .

سأله (عصام) فى دهشة وفُضُول :

ـــ ما الذى تحاول إثباته ؟

أجابه (عادل) فى لهجة حازمة :

ـــ أحاول إثبات أن الأمر أخطر مما تتصوَّر يا (عصام) .. أخطر بكثير .

* * *

« أعداء ؟! » ..

هتفت (فاطمة) فى دهشة واستنكار ، وبدت لهجتها أقرب إلى الغضب ، وهى تضيف :

ـــ لم يكن لأبى أى أعداء طِيلَة عمره .. صحيح أنه عاش حياته كله صارمًا ، قاطعًا كالسيف ، لا يتراجع عن كلمة الحق ، مهما كان الثمن ، ولكن هذا لم يُورثه سوى احترام الجميع ، وهيبتهم له ، وثقتهم فى كل ما يفعل .. كلَّا يا أستاذ (عصام) .. لم يكن لأبى أعداء أبدًا .

شعر (عصام) ببعض الخجل ، على الرغم من أن سؤاله كان منطقيًا ، وتردّد لحظات ، قبل أن يلقىَ سؤاله التالى ، قائلًا :

ــ هل هناك من يستفيد من موته إذن ؟

اتسعت عيناها فى ذُعر ، وهى تردّد :

ــ موته ؟!

أسرع يستدرك :

ــ أو اختفائه ؟

تطلّعت إليه لحظة فى توتُّر ، ثم خفضت عينيها ، وهى تقول فى مرارة :

ــ أبى لا يملك ثروة .. إنه لا يملك سوى مركبه .

سألها فى اهتمام :

ــ ومن سيحصل على هذا المركب ، إذا ما تُوُفِّىَ والدك ؟

مرّة أخرى أطلَّ الهلَعَ من عينيها ، فاستدرك فى سرعة :

ــ بعد عمر طويل بالطبع .

هزّت كتفيها ، وهى تقول :

ــ لست أدرى .. إنه سيئُول إلىَّ بالطبع ، وإلى من أتزوَّجه ، إذا كان يعمل فى الصيد ، أو إلى .....

بترت عبارتها لحظة ، جعلت (عصام) يسألها فى اهتمام :

ــ أو إلى مَنْ ؟

أطلَّ الذُّعر من عينيها لحظة ، وهى تجيب فى صوت مرتجف :

ــ أو إلى (جمعة) ..

* * *

شعر (عصام) ببعض الضِّيق ، حينما عاد إلى المَصِيف ، فلم يجد (عادل) فى المنزل ، واتجه إلى المطبخ الصغير ، ليعدّ لنفسه قدحًا من الشاى ، ولم يكد يفرغ منه حتى وصل (عادل) ، وابتسم وهو يلقِى عليه التحية ، ثم اتجه نحو الشُّرفة ، واستلقَى فى استرخاء فوق مقعد وثير ، وأسبل جفنيه فى هدوء ، فاقترب منه (عصام) ، وقال فى عصبيَّة :

ــ هذا لا يبدو (عادلًا) .

ابتسم (عادل) ، وغمغم دون أن يفتح عينيه :

ــ ما هذا الذى تقصده ؟

لوَّح (عصام) بذراعه ، وهو يقول :

ــ إننى أبذل أقصى جهدى لجمع التحرِّيات ، وأنت تتنزَّه هنا فى المصيف .

ابتسم (عادل) فى سُخرية ، وهو يقول :

ــ وماذا فى ذلك ؟.. إنها قضيتك أنت .. أليس كذلك ؟

هتف (عصام) فى غضب :

ــ لا بأس .. سأضطلع بها وحدى إذن ، وسأحجب عنك كل المعلومات ، و .....

قاطعه (عادل) فى هدوء :

ــ من قال لك إننى كنت أتنزّه .. لقد كنت أعمل .

حدّق (عصام) فى وجهه بدهشة ، وهو يهتف :

ــ تعمل ؟!

أجابه (عادل) فى هدوء :

ــ بالتأكيد .. وفى نفس القضية .

تطلّع إليه (عصام) بضع لحظات فى رِية ، ثم غمغم فى شكّ :

ــ وما الذى كنت تفعله هنا فى المصيف ؟

لوّح (عادل) بكفّه ، وهو يقول فى لهجة مسرحية ساخرة :

ــ كنت أراجع أسماء جميع المصطافين ، فى قسم العقود والإيجارات ، بمجلس المدينة .

ازدادت نظرات (عصام) شكًّا ورِية ، وهو يقول :

ــ وفِيمَ يفيد ذلك ؟

هزّ (عادل) كتفيه ، وقال :

ــ لست أدرى .

شعر (عصام) بغيظ شديد ، حتى أنه كاد ينقضّ على (عادل) ، ويَلْكُمُهُ فى فكّه ، لولا أن تذكّر مهارة (عادل) القتالية الفائقة ، وهو يقاتل المجهولين فى البحيرة ، فتراجع مغمغمًا فى سُخط :

ــ يا له من أسلوب بحث رائع !

نهض (عادل) ، وعاد يلوّح بكفّه ، قائلًا :

ــ ما رأيك فى العودة الآن إلى مدينة (بلطيم) ؟

حدّق (عصام) فى وجهه فى دهشة ، وهتف فى عصبيّة :

ــ لماذا ؟.. لقد أتيت من هناك تَوًّا !.

جذبه (عادل) من ذراعه ، وهو يقول مبتسمًا :

ــ لا بأس يا صديقى .. إنها بضعة كيلومترات فحسب .

حدّق (عصام) فى وجهه بِحَيْرَةٍ ، وأقسم فى أعماقه أن (عادل) يدبّر أمرًا ما ، وذكّره هذا بغموض (عماد) و (غُلا) ، إلا أنه لم يلبث أن غمغم فى استسلام :

ــ حسنًا .. هيَّا بنا .

ولكنه لم يكد يدير محرّك سيارته استعدادًا للذّهاب ، حتى وجد نفسه يهتف فى حِدّة :

ــ لماذا ؟

ثم التفت إلى (عادل) ، مستطردًا فى عصبيّة :

ــ لماذا ترغب فى العودة إلى هناك ؟

ابتسم (عادل) ابتسامة شديدة الغموض ، واسترخى فى مقعده ، وأسبل جفنيه ، وهو يقول :

ــ إننى أفكّر فى افتتاح متجر لبيع الأسماك يا صديقى ، وقد يستلزم هذا بناء مركب قوى ، والاستعانة بصيّاد ماهر .

ثم اتسعت ابتسامته ، وهو يردف :

ــ هيًا .. انطلق .

* * *

لم يتبادل الاثنان حرفًا واحدًا ، طَوَال الطريق من مَصِيف (بلطيم) إلى المدينة التى تحمل نفس الاسم ، حتى اقتربا من المدينة ، ولاحت لهما تلك المحطّة الردارية فى مدخلها ، فأشار إليها (عادل) ، قائلًا فى هدوء وفخر :

ــ إنها محطة رائعة .. أليس كذلك ؟

أجابه (عصام) فى توتُّر :

ــ لست أدرى .. إنها تبدو لى محطة عادية ، فلست أفهم الكثير عن أسلحة الجيش .

هزّ (عادل) كتفيه ، وهو يقول فى بساطة :

ــ ولا أنا .. لقد أعجبنى موقعها فحسب .

ثم ابتسم مستطردًا :

ــ ثم إننى أشعر بالألفة ، كلما رأيت محطة رادار .

سأله (عصام) فى دهشة :

ــ لماذا ؟

ضحك وهو يقول :

ــ إنه يذكّرنى بعقلى ، الذى يلتقط دَوْمًا ذبذبات الجريمة .

عقد (عصام) حاجبيه ، مغمغمًا :

ــ أنت مغرور .

هزّ (عادل) كتفيه ، قائلًا فى هدوء :

ــ ربمًا .

أثارت العبارة (عصام) ، فقال فى حِدة :

ــ هل تظن نفسك أذكى أهل الأرض فى فن الاستنتاج ؟.. اسمح لى إذن أن أحطّم فكرتك عن نفسك هذه ، فبعد عملى مع (عماد) و (غُلا) ، أكاد أوقِن من أنهما عبقريان ، وبالذات

بسبب سِنِّهما ، ثم إن هذه القضية بالذات لا تحتاج إلى عبقرى فى فن الاستنتاج .

ارتسمت على شفتى (عادل) ابتسامة ساخرة غامضة ، وهو يقول فى هدوء :

ــ أتظنّ ذلك ؟

هتف (عصام) فى عصبيَّة :

ــ بالتأكيد .. هل تحبّ أن أخبرك بالحل ؟

عاد (عادل) يسبل جفنيه ، وهو يقول بنفس الابتسامة الساخرة الغامضة :

ــ بالطبع .. سيُروق لى الاستماع إليك كثيرًا .

بدا الأمر لـ (عصام) أشبه بالتحدّى ، فقال فى عنادٍ :

ــ اسمع إذن .. لقد أثبت رجال الشرطة ، أنه من المستحيل أن يتمَّ قتل رجل ، وإلقاؤه فى البحيرة ، دون أن يتمَّ العثور على جثته ؛ لأن البحيرة ليست شديدة العمق ، ولأن دوريَّات حرس السواحل تجُوبها باستمرار ، وهذا يَعْنى أن (البرجاوى) لم يُقْتل ويُلقَى فى البحيرة ، ولقد أكَّد (جمعة) أنه لم تكن هناك أيَّة مراكب حول الجزيرة ، عندما اختفى (البرجاوى) .

غمغم (عادل) فى هدوء :

ــ ولكن كانت هناك مراكب فى البحيرة بالتأكيد ؟

هتف (عصام) فى عصبيَّة :

ــ كانت تقف بعيدًا .

عاد (عادل) يبتسم ، مغمغمًا :

ــ بالتأكيد .. هيًّا .. أكمل .

تابع (عصام) فى انفعال :

ــ ولقد أدان (جمعة) نفسه بهذا الاعتراف الأخير ، فهو الوحيد الذى كان يمكنه قتل (البرجاوى) ، وهو الوحيد الذى يستفيد من موته ، إذن فهو قاتله بلا شكّ .

غمغم (عادل) فى لهجة تحمل قدرًا هائلًا من السُّخرية :

ــ هكذا ؟!

صاح (عصام) فى غضب :

ــ نعم .. هكذا ، وستثبت لك التحرّيات أننى على حقّ ، و .....

قاطعه (عادل) ، وهو يعتدل فجأة :

ــ مهلًا يا (عصام) .. توقَّف هناك ، حيث سيارة الشرطة .

تنبه (عصام) فجأة إلى سيارة الشرطة ، التى تقف عند مدخل المدينة ، فتوقّف خلفها ، وغادر سيارته ، وسأل أحد رجال الشرطة فى اهتمام :

ـــ ماذا هناك ؟

أجابه الرجل فى توتُّر :

ـــ إنها جريمة قتل .. لقد عثرنا على صيَّاد شاب قتيل .. شاب يدعى (جمعة) ..

* * *

وغادر سيارته ، وسأل أحد رجال الشرطة فى اهتمام :

ـــ ماذا هناك ؟

٦ ــ البناء والهدم ..

صافح ضابط شرطة (بلطيم) ، (عادل محمود) فى احترام ، وهو يقول :

ــ مرحبًا بك هنا يا سيادة العقيد .

ابتسم (عادل) ، وهو يقول :

ــ إننى لم أعُد أنتمى إلى جهاز الشرطة أيها النقيب .

ارتفع حاجبا الضابط ، وهو يهتف فى دهشة واستنكار :

ــ مستحيل !!.. لست أتصوَّر استغناءَهُمْ عنك أبدًا يا سيِّدى !!.. إننا نعتبرك مثلنا الأعلى ، منذ كنت تلقِى علينا محاضرات علم الفراسة ، فى كلية الشرطة .

ربَّت (عادل) على كتفيه ، وهو يقول :

ــ لا يوجد مستحيل فى هذا العالم أيها النقيب .

هزَّ النقيب رأسه فى أسف ، ثم مال نحو (عادل) ، قائلًا فى حماس :

ــ هل يمكننى خدمتك يا سيِّدى ؟

أجابه (عادل) :

ــ بالتأكيد .

ثم مال نحوه بِدَوْرِه ، مردفًا فى لهجة عميقة :

ــ أريد معرفة كل ما لديكم ، عن مصرع ذلك الصياد الشاب .

تراجع النقيب فى دهشة ، وهو يهتف :

ــ (جمعة) ؟!

أومأ (عادل) برأسه إيجابًا فى هدوء ، فعقد النقيب حاجبيه فى ريبة ، وهو يغمغم :

ــ أهِىَ تحرِّيات خاصة يا سيِّدى ؟

أجابه (عادل) فى هدوء :

ــ نعم .

مضت لحظة من الصمت ، وكأنما يحاول النقيب دراسة الموقف ، قبل أن يقول فى حزم :

ــ لا بأس يا سيِّدى .. تفضَّل .

ثم توَّقف بغتة وأشار إلى (عصام) فى حَذَر ، مغمغمًا :

ــ هل سيصحبك ؟

ابتسم (عادل) قائلًا :

ـ ألا تعرفه ؟. إنه الأستاذ (عصام كامل) الصحفى .

هتف النقيب فى دهشة واستكار :

ـ صحفى الحوادث ؟!

عقد (عصام) حاجبيه فى غضب ، لذلك الأسلوب الذى ألقى به النقيب العبارة ، كما لو كان يتحدَّث عن مريض خطير ، وازداد غضبه ، عندما أطلق (عادل) ضحكة ساخرة ، وهو يربِّت على كتف الضابط ، قائلًا :

ـ لا تخشَ شيئًا .. إنه لن ينشر إلا ما نرغب فى نشره .

رمَقَ النقيب (عصام) بنظرة شكّ ، قبل أن يغمغم :

ـ لا بأس يا سيِّدى .. ما دمت تضمن ذلك .

صحبهما إلى حيث استلقت جثة (جمعة) ، وسط فِناء منزله ، وحوله رجال البحث الجنائى ، والمعمل الجنائى ، يبحثون عن الأدلّة والبصمات ، وأشار إلى الجثة ، قائلًا :

ـ من الواضح أنها جريمة قتل ، فلا يوجد حوله ما يمكن أن يسبِّب له تلك الإصابة القاتلة فى رأسه ، لو افترضنا أنه قد تعثَّر ووقع مثلًا .

عقد (عادل) حاجبيه ، وهو يتفحَّص المكان ببصره فى اهتمام ، ثم قال فى حزم :

ـ إنه أيضًا لم يُقتل هنا .

هتف النقيب فى دهشة ، شاركه فيها (عصام) بملامحه :

ـ ماذا ؟!

أشار (عادل) إلى الجثة ، قائلًا :

ـ انظرا .. إن وجهه وقميصه ملوَّثان بالدماء فى شدَّة ، مما يؤكِّد أنه قد نزف كثيرًا ، وعلى الرغم من ذلك ، لن تجدا نقطة واحدة من الدِّماء حوله ، وهذا يَعنِى أنه قد قُتِلَ فى مكان ما ، ونُقِلَ إلى هنا بعدها .

هتف النقيب :

ـ ولكن لماذا ؟.. من فعل به ذلك ؟

اعتدل (عادل) ، وهو يقول فى حزم :

ـ هذا ما ينبغى أن نبحث عنه أيها النقيب .. هذا يحلّ لُغز (بحيرة الأسرار) تمامًا .

* * *

كان الحزن يبدو واضحًا على وجوه الكبار الثلاثة ، (فهمان) و (حامد) و (مرسى) ، حينما التقى بهم (عصام) و (عادل) فى ورشة المعلم (مرسى) لبناء مراكب الصيد ، ولقد هتف الأوَّل فى ألم :

ـ يا لـ (جمعة) المسكين ؟!.. من ذلك الحقير الذى قتله يا تُرَى ؟.. ولماذا ؟

أجابه (عادل) فى هدوء ، وهو يجُول ببصره فى ملامح الثلاثة ، محاولًا قراءة ردود أفعالهم :

ــ أظنه نفس السبب ، الذى اختفى من أجله (البرجاوى) .

ظهرت الدهشة على وجوه الثلاثة ، وهتف (مرسى) :

ــ ماذا تَعْنِى بهذا ؟.. إنك تجعل الأمر يبدو شديد الغُمُوض .

ابتسم (عادل) فى هدوء ، وهو يقول :

ــ على العكس .. إننى أحاول أن أجعله شديد الوضوح .

تطلَّع إليه الثلاثة فى شكٍّ وريبة ، ثم غمغم (حامد) :

ــ ما الذى تسعى لإثباته بالضبط يا سيِّدى ؟

اعتدل (عادل) ، واكتسى صوته بالصرامة ، وهو يقول :

ــ أريد أن أثبت كيف ولماذا اختفى (البرجاوى) ؟.

تطلَّع إليه الجميع فى دهشة عارمة ، فأضاف فى حزم :

ــ وأنا أعرف لماذا ؟

أطلَّت دهشة هائلة من العيون ، وارتسمت على الوجوه ، وأمسك (عصام) ذراع (عادل) ، وهو يقول فى انفعال :

ــ هل تعلم ؟!.. قُلْ لى إذن لماذا ؟.. لماذا ؟

أجاب (عادل) فى بُرُود ، وهو يتفرَّس فى وجوه الجميع :

ــ لقد اختفى (البرجاوى) ؛ لأنه رأى شيئًا ما .. شيئًا لم يكن ينبغى له أن يراه .. أبدًا ..

* * *

مضت لحظات من الصَّمت ، والجميع يحدِّقون فى وجه (عادل) فى دهشة ، حتى (عصام) ، الذى كان أوَّل من نطق ، مغمغمًا :

ــ كيف ؟.. كيف وضعت هذا الاستنتاج ؟

أجاب (عادل) فى هدوء :

ــ لقد درست الأمر كله .. إننى لم أقتنع أبدًا بأن (جمعة) قتل (البرجاوى) ؛ لأن هذا الأخير بمثابة والده ، والإنسان لا يتجرَّد من كل مشاعره هكذا فجأة ، ثم جاء مصرع (جمعة) ، ليضع لى بعض النقاط على الحروف .

واستدار يواجه الرجال الثلاثة ، مستطردًا :

ــ لقد ترك (جمعة) (البرجاوى) عند المركب ، وذهب ليجمع بعض الحطب ، لِشَىِّ الأسماك للغداء ، وعندما ابتعد (جمعة) ، رأى (البرجاوى) مشهدًا أثار دهشته ، ولَمَّا

كان رجلًا صارمًا طِيلَة عمره ، لا يتراجع عن الحق أبدًا ، فقد قرَّر أن يتيقَّن أوَّلًا مما يراه ، قبل أن يتخذ قرارًا بشأنه ، ولكن الشخص الذى كان يرتكب ما أثار (البرجاوى) ، رأى هذا الأخير بدوْرِه ، وأيقن أن (البرجاوى) لن يكتم سرّه أبدًا ، وأنه — مدفوعًا بإصراره على الحق — سيُوقع به ؛ لذا فقد كان من الضرورى أن يقتل (البرجاوى) ، ليتخلَّص من المأزق.. ولقد حار (جمعة) طويلًا فى أمر اختفاء معلمه ، ثم اهتدى إلى التفسير فجأة ، وحاول التيقُّن منه بدوْرِه ، مما جعل من الضرورى التخلُّص منه أيضًا .

صاح (فهمان) فى غضب :

— وأين أدلَّتك على ذلك أيها العبقرى ؟.. إن قصتك كلها مجرَّد استنتاج مَخض ، فأنت لم تخبرنا من قتل (البرجاوى) ، ولا حتى ما الذى رآه هذا الأخير .

أكمل (حامد) فى حِدَّة :

— بل أنك قد أهملت تمامًا أمر جثة (البرجاوى) ، لو أنه قد قُتِلَ ، فلم تقُل لنا أين ذهبت ، ولا كيف اختفت .

هتف (مرسى) :

— بل لم يقُل حتى كيف تم قتل (البرجاوى) ، ما دام

(جمعة) كان يجزم بأنه لم تكن هناك أيَّة مراكب بالقرب من الجزيرة ، وقت مصرع معلِّمه .

ابتسم (عادل) فى هدوء ، وهو يقول :

— أراهنكم أن أحدكم يملك كل الأجوبة .

صاح (فهمان) فى غضب واستنكار :

— كيف تجرؤ على اتهام الثلاثة الكبار فى (بلطيم) ؟.. إنك ترتكب أكبر خطإ فى حياتك كلها ، ولتعلم أننا لم نصبح كبارًا بالوساطة ، وإنما لأننا نستحق ذلك ، فكل منَّا يزاول عمله فى شرف .. إننى أشترى الأسماك من الصيادين بسعر مناسب ، وأبيعها بسعر مناسب أيضًا ، بلا جشع أو طمع ، وأتأكَّد يوميًّا بنفسى ، من أنها أسماك طازجة جيِّدة ، والريس (حامد) لا يظلم أحد الصيادين أبدًا .. إنهم جميعًا يثقون فى كلمته وأحكامه ، وهو يترك كُلًّا منهم يختار منطقة صيده بنفسه ، ويأخذ ما تبقَّى ، ليضرب لهم مثلًا فى الإيثار والتضحية ، وحتى المعلم (مرسى) ، ما زال يختبر المراكب التى يصنعها بنفسه ، على الرغم من عشرات العمال ، الذين يعملون تحت إمْرَته .. إننا شرفاء يا رجل .. كنَّا وسنظلّ كذلك دَوْمًا .

مطَّ (عادل) شفتيه فى بُرُود ، وهو يقول :

ــ ربَّما .

ثم نهض مستطردًا :

ــ على أيَّة حال ، سأثبت لكم غدًا أننى على حقّ .

هتف (حامد) فى توتُّر :

ــ ولماذا غدًا ؟

اتسعت ابتسامة (عادل) ، وامتلأت بالثقة ، وهو يجيب :

ــ لأننى سأخبركم ما الذى رآه (البرجاوى) ، ومن قتله ..

وصمت لحظة ، قبل أن يردف فى حزم :

ــ وسأجعلكم ترون بأنفسكم كيف يدفع المجرم ثمن جرائمه .. دَوْمًا ..

* * *

اتسعت ابتسامة (عادل) ، وامتلأت بالثقة ، هو يجيب :

ــ لأننى سأخبركم ما الذى رآه (البرجاوى) ، ومن قتله ..

٧ ــ المحاولة الأخيرة ..

لاذَ (عصام) بالصمت ، معظم الطريق من مدينة (بلطيم) إلى المصيف ، حتى شعر بأعصابه تكاد تنفجر ، فغمغم فى عصبيّة :

ــ يبدو أنك تجيد إشعال النيران يا سيِّد (عادل) ، دون أن تملك أسطوانة إطفاء .

سأله (عادل) فى هدوء :

ــ ماذا تعنى ؟

أجابه (عصام) فى انفعال :

ــ لقد كان الرجال هناك على حقّ .. إن استنتاجك مبتُور ، يثير النفوس ، ويشعل النيران فى العقول ، دون أن يملك حسمًا للأمور ، أو حزمًا للقرارات .

ابتسم (عادل) ، وهو يقول :

ــ لقد رأيت أنه ليس من المفضّل أن يكشف المرء أوراقه كلها دفعة واحدة .

هتف (عصام) فى دهشة :

ــ أتعنى أنك تعرف حلّ اللُّغز ؟

هزَّ (عادل) كتفيه ، وقال فى هدوء :

ــ إلى حدٍّ ما .

حدَّق (عصام) فى وجهه بذُهُول ، فأشار (عادل) إلى الطريق ، وهو يقول :

ــ انظر إلى الطريق أمامك ، ما دمت تقود السيارة ، فلست أحب أن ألقى حَتفِى هنا ، قبل أن أنتهى من كشف حلّ اللُّغز .

أدار (عصام) وجهه إلى الطريق ، وهو يهتف :

ــ ولكن هل توصّلت إلى الحل حقًّا ؟

عقد (عادل) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ تنقصنى نقطة واحدة ، وبعدها أكون قد حللت اللُّغز كله .

سأله (عصام) فى فُضُول وانفعال :

ــ أهِىَ قضية مخدّرات ؟

غمغم (عادل) فى خُفُوت :

ــ بل هى أخطر من ذلك بكثير .

هتف (عصام) فى دهشة بالغة :

ـــ أخطر من ذلك ؟!

ثم أضاف فى توتُّر :

ـــ لست أصدّق ذلك فى الواقع .. الأمر كله يبدو لى أشبه بـ .....

قبل أن يتمَّ عبارته ، حدث فجأة ما جعل جسده يرتجف كله ، فى انتفاضة قوية ، سَرَت من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ..

وكان هذا الحدث عبارة عن رصاصة ..

رصاصة اخترقت زجاج سيارته الأمامى بغتة ..

* * *

قال أحد الثلاثة الكبار فى (بلطيم) ، وهو يتحدَّث إلى الرجل الواقف أمامه فى حزم :

ـــ لابدَّ من إتمام العملية الكبرى الليلة ، لقد أصبح الموقف شديد الخطورة .. لقد استنتج ذلك الشرطى السابق نصف الحقائق تقريبًا .

أشعل الرجل الواقف أمامه سيجارته ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ لا تقلق .. إنه لن ينجح فى استنتاج النصف الثانى أبدًا .

قال الكبير فى حِدَّة :

ـــ وماذا عن ذلك الصحفى ؟.. إن تحقيقاته تؤكد عبقريته فى الاستنتاج .

نفث الرجل دُخان سيجارته ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ لا يشغلنَّك أمره ، لقد أمرت بقتله ، ولن تشرق شمس الغد ، إلا ويكون جثة هامدة .

قال الكبير فى توتُّر :

ـــ ما زلت أصرّ على أن تنتهى العملية الليلة ، و .....

قاطعه الرجل فى صرامة :

ـــ كَفَى .. إنك كبير هنا ، فى مدينتك فقط ، أما بالنسبة لنا ، فعليك أن تطيع الأوامر بلا مناقشة ، ولا تنسَ أبدًا أنك تعمل لحسابنا ، وأنك تحصل على أجر باهظ مقابل ذلك .

امتقع وجه الكبير ، وغمغم فى مرارة :

ـــ أعلم ذلك .

ساد الصمت لحظات ، ثم قال الرجل فى حزم ، وهو ينفث دُخان سيجارته :

ـــ ولكن هذا لا يمنع من سماع وجهة نظرك .

وصمت لحظة أخرى ، ثم أضاف :

— وما دام ليس هناك ما يمنع ذلك ، وما دام كل شيء قد أُعِدَّ فى إتقان ، فليكن إذن .. ستتم العملية الكبرى الليلة ..

* * *

كان أوّل ما فعله (عصام) ، عندما اخترقت تلك الرصاصة زجاج سيارته ، هو أن ضغط الكمّاحةَ بحركة غريزية ، وأدار عجلة القيادة ، ليوقف السيارة على جانب الطريق ، فهتف به (عادل) ، وهو يقفز منها :

— لقد انطلقت الرصاصة من تلك التّبّة الرملية هناك ، دُرْ حولها من اليسار ، وسأفعل من اليمين .

وبدون أن يفكّر (عصام) ، وجد نفسه يندفع نحو الاتجاه الذى أشار إليه (عادل) ، ويدور حول التّبّة الرملية ، ويصعد فوق رمالها فى صعوبة ..

وفجأة ، تسمّر فى مكانه ، واتسعت عيناه فى ذُعْر ، عندما رأى فُوّهة بندقية مصوّبة إلى رأسه ، وخلف زِنادها رجل غليظ الملامح ، يطلّ الشر من كل خَلْجَةٍ من خَلَجاته ..

وفجأة ، ظهر (عادل) ..

تمامًا كالمرّة السابقة ، انقض على الرجل كأسد هَصُور ، ودفعه أمامه ، فأسقطه على وجهه ، وتدحرج الاثنان فوق

الرمال ، وهما يتصارعان فى عُنف ، حتى بلغا أسفل التّبّة ، فقفز (عادل) واقفًا ، وَلَكَمَ خصمه لكمة قوية فى وجهه ، فترنّح الرجل لحظة ، ثم اعتدل ، وانقضّ على (عادل) ، فكال له لَكْمَة فى معدته ، وأخرى فى فكّه ، وتفادى (عادل) اللكمة الأخيرة فى مهارة ، ثم هَوَى على فكّ خصمه بلكمة كالقنبلة ، ألقت هذا الأخير على ظهره ..

وفجأة ، وجد الرجل بندقيته إلى جواره ، فالتقطها فى سرعة ، وصوّبها نحو صدر (عادل) ، و .....

أطلق النار ..

* * *

جاء دَوْرُ (عصام) ليشارك فى القتال هذه المرّة ..

لقد انقضّ على الرجل ، فى نفس اللحظة التى أُطلق فيها رصاصته ، فطاشت فى الهواء ، وقفز (عادل) فى الوقت ذاته ، فَرَكَلَ البندقية بعيدًا ، والتقطها من الهواء فى مهارة ، وصوّبها إلى الرجل ، وهو يقول فى حزم :

— انتهت اللُّعبة يا رجل .. لقد وقعت .

انعقد حاجبا الرجل الكثّين فى قوة ، وهو يحدّق فى وجه (عادل) فى غضب ، ثم لم يلبث أن رفع ذراعيه فى عصبيّة ، فسأله (عادل) فى صرامة :

— متى ستضربون ضربتكم ؟

حدَّق الرجل فى وجهه بذُهُول ، وسأله (عصام) فى دهشة :

— أيَّة ضربة تلك ؟

خُيِّل إليه ، وهو يلقى سؤاله ، أن القاتل يضغط أسنانه فى قوة ، ورأى (عادل) يقفز نحو الرجل ، صائحًا :

— امنعه يا (عصام) .. يا إلهى !!.. حاول .

وفجأة ، تهاوَى الرجل الغليظ الملامح على الأرض ، كقطعة من الحجر ، وانحنى (عادل) يفحصه فى سرعة ، وفتح فكَّيه فى حدَّة ، ثم غمغم لدهشة (عصام) :

— إنها كبسولة من سُمّ السِّيانيد .

هتف (عصام) فى ذُهُول :

— ماذا ؟

عقد (عادل) حاجبيه فى قوة ، وبدا وكأنه لا يسمع كلمة واحدة من (عصام) ، قبل أن يهتف بغتة :

— هيَّا بنا ..

سأله (عصام) فى دهشة :

— إلى أين ؟.. لست أفهم شيئًا !!

وفجأة ، تهاوَى الرجل الغليظ الملامح على الأرض ، كقطعة من الحجر ..

أجابه (عادل) ، وهو يسرع الخُطَا نحو السيارة :

ـــ سنعود إلى مدينة (بلطيم) على الفور .

هتف (عصام) فى دهشة :

ـــ (بلطيم) ؟!.. لماذا ؟.. لقد أتينا من هناك تَوًّا .

أجابه (عادل) فى حزم ، وهو يقفز داخل السيارة :

ـــ إننى أحتاج إلى معاونة لا تقبل الشك .

سأله (عصام) فى انفعال ، وهو يجلس خلف عجلة القيادة ، وينطلق بالسيارة :

ـــ من ضابط الشرطة ؟

أجابه (عادل) :

ـــ بل من أحد الكبار الثلاثة .. إنه الأمل الوحيد فى حلّ آخر خطوات لُغز (بحيرة الأسرار) هذه .

* * *

أوقف (عصام) سيارته أمام منزل (مرسى) ، والتفت إلى (عادل) يسأله فى اهتمام :

ـــ أأنت واثق من أنك ستجد المعاونة التى تنشدها ، عند هذا الرجل ؟

أجابه (عادل) ، وهو يغادر السيارة :

ـــ بلا شكّ .

سأله (عصام) فى فُضُول :

ـــ أيُغنِى هذا أنك لا تشك فى أمره على الإطلاق ؟

أجابه (عادل) فى حزم :

ـــ لست أحمل ذرَّة واحدة من الشكّ فى أمره .

عاد (عصام) يسأله فى اهتمام :

ـــ كم ستتغيَّب ؟

هزَّ (عادل) كتفيه ، وقال :

ـــ هذا يتوقَّف على مدى استعداده لمعاونتنا .

ثم دلف داخل فناء المنزل ، قبل أن يضيف (عصام) حرفًا واحدًا ..

وعقد (عصام) حاجبيه فى شدة ، وهو يفكّر فى الأمر فى عمق ..

إن (عادل) يخفِى أمرًا ما بالتأكيد ..

وهذا الأمر يتعلَّق بـ (فهمان) أو (حامد) ، ما دام قد استبعد (مرسى) تمامًا ، إلى الحدّ الذى يدفعه لطلب معاونته ..

ولكن ما هذا الأمر ؟.

لقد سأل (عادل) عما إذا كان الأمر يتعلَّق بالمخدّرات ،

فأجابه بأنه أكثر خطورة من ذلك كثيرًا ، فما هى تلك الجريمة التى تفوق الاتجار فى المخدّرات إذن ؟..

حارَ فى التفكير ، ولم يَدرِ كم مرَّ من الوقت ، حتى رأى (عادل) يندفع نحو السيارة ، ويقفز داخلها ، هاتفًا :

ــ أسرع .

سأله فى انفعال ، وهو يدير محرّك السيارة :

ــ إلى أين ؟

أجابه فى حزم :

ــ إلى طريق المصيف .

انطلق (عصام) بالسيارة على الفور ، وهو يسأله فى اهتمام :

ــ هل وافق (مرسى) على معاونتك ؟

أومأ (عادل) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ــ لم يكن ذلك سهلًا .

ثم ابتسم ، مستطردًا :

ــ ولكننى نجحت فى إقناعه .

واصل (عصام) انطلاقه بالسيارة فى صمت ، ثم لم يلبث أن سأله ، وقد فاض به الفُضُول :

ــ مرَّة أخرى أسألك ، أهِىَ قضية مخدّرات ؟

أجابه (عادل) فى صرامة :

ــ بل هى أخطر من ذلك .

هتف (عصام) فى حِدَّة :

ــ ما الأخطر من قضايا المخدّرات ؟

التفت إليه (عادل) فى هدوء ، وأجاب فى حزم وصرامة ، جعلا جسد (عصام) يرتجف كله فى قوة :

ــ الجاسوسية ..

* * *

٨ ــ الجواسيس ..

كان الجواب أشبه بقنبلة ، انفجرت فى أذنى (عصام) وعقله ، فأفقدته توازنه ، حتى أن عجلة القيادة قد اختلت فى يده لحظات ، قبل أن يستعيد سيطرته عليها ، ويهتف فى ذُهُول :

ــ يا إلهى !!

قال (عادل) فى هدوء :

ــ كيف لم تنتبه إلى ذلك منذ البداية ؟.. لقد كان كل شىء يشير إلى أننا نتعامل مع محترفين ، على درجة فائقة من الجودة ، المسدَّسات المزوَّدة بكواتم للصوت ، وكبسولة السَّيانيد .. كل شىء .

عاد (عصام) يردِّد فى ذُهُول :

ــ يا إلهى !!

تابع (عادل) حديثه ، قائلًا :

ــ لقد برز الاحتمال فى رأسى منذ البداية ، كفكرة تحتاج

إلى إثبات ، فلقد اختفى (البرجاوى) فى ظروف شديدة الغموض ، بحيث كان من المستحيل أن يكون قد غرق فى البحيرة ، أو أن يكون أى مركب قد انتشله ، نظرًا لأن (جمعة) ــ رحمه الله ــ كان يؤكِّد أن مركبًا لم يقترب من الجزيرة ؛ مما لم يبق لى سوى احتمال واحد ، هو أن يكون (البرجاوى) قد قُتِل بواسطة ضفادع بشرية .

غمغم (عصام) فى ذُهُول :

ــ ضفادع بشرية ؟!

استطرد (عادل) ، وكأنما لم يسمع تعليقه :

ــ تساءلت عندئذ : أين سيأخذه رجال الضفادع البشرية ؟ فوجدت أنه من المستحيل أن ينقلوه إلى الشاطئ ، نظرًا لأنه هناك من سيراهم بالتأكيد ، إذن فلا ريب أنهم قد انتقلوا مع جثته إلى مركب خاص ، كان ينتظرهم على مسافة من الجزيرة .

عاد (عصام) يغمغم فى ذُهُول :

ــ ضفادع بشرية ؟!

أومأ (عادل) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ كان هذا هو الاحتمال المنطقى الوحيد ، لاختفاء (البرجاوى) ، ولقد تصوَّرت الأمر كله .

مال إلى الأمام ، وحرَّك كفيه ، كما لو كان يصف مشهدًا سينمائيًا ، وهو يقول :

ـــ لقد كان (البرجاوى) يعدّ الأسماك ، عندما رأى الضفادع البشرية ، وهى تأخذ قسطًا من الراحة عند الجزيرة ، ورأوه بدوْرِهم ، فانقضوا عليه ، وقتلوه ، وحملوه معهم تحت الماء ، إلى حيث المركبة التى تنتظرهم ، ولقد عاد (جمعة) ، فلم يجد معلمه ، وبعد فترة ، وبعد انتهاء التحقيقات ، تذكَّر أمرًا أثار شكوكه ، وعرف منه مَنِ الجاسوس ، الذى يحمى رجال الضفادع البشرية ، الذين ينتمون بالضرورة إلى دولة معادية ، وعندما حاول التحقُّق من ذلك ، لَقِىَ مصرعه بدوْرِه .

هتف (عصام) :

ـــ وكيف استنتجت ذلك ؟

أجابه (عادل) فى اهتمام :

ـــ بحيرة (البرلُّس) لها مدخل إلى البحر المتوسط ، ويمكن أن يتسلَّل رجال الضفادع البشرية إليها ، حيث يلتقى بهم عميلهم فى (بلطيم) ، ويهيئ لهم كل الأمور ، لتنفيذ مهمَّتهم الحقيرة .. هل تذكر هذين الغريبين ، اللذين

حاولا قتلك هناك ؟.. إنهما رَجُلَا ضفادع بشرية ، حاولا التخلُّص منك ، بعد أن أخبرهما عميلهما أنك بطل فى الاستنتاج ، وأنك قد تتوصَّل إلى كشف حقيقة الأمر كله .

هتف (عصام) فى حَيْرَة :

ـــ ولكن أين اختفى هؤلاء الضفادع البشرية ؟.. إن (بلطيم) مدينة صغيرة !

أجابه (عادل) :

ـــ فى المصيف .. وهذا لن يثير انتباه أحد ؛ ولذلك راجعت كل العقود فى مجلس مدينة المصيف ، حتى عثرت على أسماء خمسة أجانب ، استأجروا (عشة) هناك ، فى نفس يوم اختفاء (البرجاوى) ، ولقد لقِىَ ثلاثة منهم مصرعهم حتى الآن ، وبقِىَ اثنان ، سيعملان على إتمام مهمَّتهما .

سأله (عصام) فى توتُّر :

ـــ ومن ذلك الجاسوس القذر ، الذى يعمل لحسابهم هنا ؟

أجابه (عادل) :

ـــ إنه أحد الكبار الثلاثة فى (بلطيم) .

هتف (عصام) :

ـ (فهمان) أم (حامد) ؟

ابتسم (عادل) ، وهو يقول :

ـ يمكنك استبعاد الأوّل تمامًا ؛ لأن الالتقاء برجال الضفادع البشرية فى البحيرة ، يحتاج إلى رجل يَرْتاد البحيرة ، و (فهمان) تاجر أسماك ، لا يهبط إلى البحيرة أبدًا .

غمغم (عصام) فى انفعال :

ـ إذن فهو (حامد) .

أجابه (عادل) :

ـ كان من الممكن أن يكون كذلك ، لولا أنه يترك الصيادين يختارون أماكن صيدهم أوّلًا ـ كما قال (فهمان) ـ ثم يصطاد هو فى المكان المتبقّى ، وهذا لا يتفق مع الالتقاء بالجواسيس فى مكان متفق عليه مسبقًا .

اتسعت عينا (عصام) ، وهو يهتف فى دهشة :

ـ لا يبقى إذن سوى (مرسى) .

أومأ (عادل) برأسه إيجابًا ، قائلًا :

ـ هو كذلك ؟

هتف (عصام) فى دهشة واستنكار :

ـ ولكنك قلت إنك تُوليه ثقتك تمامًا .

ابتسم (عادل) ، وهو يقول :

ـ حَذارِ أن تحوِّر كلماتى .. إننى لم أقل سوى أننى لست أشكّ فى أمره مطلقًا ، وهذا لا يَعْنى أننى أثق به ، وإنما يَعْنى أننى أثق فى كَوْنه الجاسوس ، فهو الوحيد الذى يمكنه بناء مركب خاص ، يصلح لحمل مخبإ سرّى لرجال الضفادع البشرية الخمسة ، ثم إنه يصرّ على تجربة مراكبه بنفسه ، مما يَعْنى أنه كانت لديه الفرصة المناسبة لالتقاطهم ، مع جثة (البرجاوى) رحمه الله .

كانت الحقائق أقوى مما يمكن أن يحتمله (عصام) ، فلاذ بالصَّمت فى توتُّر ، ثم لم يلبث أن سأل (عادل) فى صوت متحشرج :

ـ ماذا كنت تَعْنى بطلب معاونته إذن ؟

أجابه (عادل) :

ـ كنت أريد أن أعرف متى سيضرب هؤلاء الأوغاد ضربتهم .

سأله (عصام) بنفس الصوت المتحشرج :

ـ وكيف أمكنك إقناعه بإخبارك ؟

ابتسم (عادل) ، وهو يقول فى سُخرية :

— لقد حطّمت أنفه ، وصف أسنانه الأمامية ، وواجهته بكل الحقائق ، فانهار واعترف بكل ما لديه بالتفصيل .

سأله (عصام) فى انفعال :

— ومتى سيضرب هؤلاء الأوغاد ضربتهم ؟

أجابه (عادل) فى حزم :

— الليلة ؟

هتف (عصام) فى توتُّر :

— وما هدفهم ؟

أشار (عادل) إلى مبنى قريب ، وهو يقول فى حزم :

— هذه .. محطة الرَّادار ..

* * *

تسلَّل الجاسوسان فى حَذَر ، نحو محطة الرَّادار ، وانحنى أحدهما يحاول إبطال مفعول جهاز الإنذار الكهربى ، المتصل بالأسلاك الشائكة ، التى تحيط بمبنى المحطة ، وهو يغمغم :

— لقد كانت مهمَّة سهلة .. إننى أضحك كلما تخيَّلت ذلك الغبىّ (مرسى) ، حينما يعلم ما ندَّخره له ، بعد نجاح المهمَّة .

أجابه زميله فى حزم :

— من الأفضل أن تدّخر أنت كلماتك ، فالمهمَّة لم تنته بعد .

تسلَّل الجاسوسان فى حذر ، نحو محطة الرَّادار ، وانحنى أحدهما يحاول إبطال مفعول جهاز الإنذار الكهربى ..

ابتسم الأوَّل فى سُخرية ، وهو يقول :

ــ يمكنك أن تعتبر أنها قد انتهت ، إننا سندس المتفجرات ، و .....

قاطعه صوت ساخر يقول :

ــ الأمور لا تسير بمثل هذه البساطة أيها الوغد .

كانت مفاجأة كفيلة بانهيار أى مجرمين عاديّيِن ، ولكن مع محترفَيْن مثلهما فالأَمْرُ يَختَلِفُ ، التقط الجاسوسان مسدَّسيهما ، واستدارا يواجهان (عصام) و (عادل) فى شراسة ، إلا أن قبضة (عادل) أطاحت بمسدَّس أحدهما ، على حين تكفَّلت قدم (عصام) بمسدَّس الآخر ، ولكن الجاسوسين تحرَّكا على الفور بمهارة عالية ، فلكَمَ الأوَّل (عادل) فى معدته ، وركل الثانى (عصام) فى وجهه ، دون أن ينبس أى من الأربعة بحرف واحد ..

وقبل أن يتمالك (عصام) نفسه ، هَوَت لَكْمَة أخرى على فكِّه ، فسقط أرضًا ، وقاوم ذلك الدُّوار العنيف ، الذى أحاط برأسه ، لينهض مواصلًا القتال ، إلا أنه رأى خصمه يلتقط مسدَّسه فى حركة سريعة ، ثم يستدير ويصوِّبه نحو رأس (عادل) ، ثم .....

دَوَّت الرصاصة كالقنبلة فى سكُون الليل ..
وأصاب الطلق النارى هدفه فى دِقَّة متناهية ..

* * *

٩ ــ النهاية ..

أصابت الرصاصة هدفها فى دِقَّة متناهية ، وجحظت عينا الجاسوس فى ألم ورُعب وذُهُول ، وسقط مسدَّسه من يده ، ثم هَوَى خلفه ، ممسكًا ركبته فى ألم رهيب ..

ثم سطعت الأضواء فى كل مكان ، وامتزج سطوعها بهدير طائرتى هليوكوبتر حربيتين ، وبيروز عشرات الجنود المسلحين من كل مكان ، مما أصاب الجاسوس الآخر بالرُّعب ، فتوقَّف عن قتال (عادل) ، ونهض رافعًا ذراعيه إلى أعلى فى تشنُّج ، وهو يصرخ :

ــ لا تطلقوا النار .. إننى أستسلم .. أرجوكم لا تطلقوا النار .

تطلَّع (عصام) إلى ما يحدث فى ذُهُول ، ثم التفت إلى (عادل) ، الذى ابتسم ، قائلًا :

ــ نسيت أن أخبرك ، أننى قد قمت بخُطوة إضافية ، فى منزل ذلك الوغد (مرسى) ..

واتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

ــ أبلغت المخابرات الحربية بالأمر كله ..

* * *

شعر (عصام) بالحزن يغمر قلبه ، وهو يصافح (فاطمة) ، التى اتَّشحت بالسَّواد ، وامتلأت عيناها بالدموع ، مغمغمًا :

ــ كم يؤسفنى أن ينتهى الأمر بهذه الصورة .. كنت أتمنَّى أن نجد والدك على قَيد الحياة ، ولكننا لا نملك أمرنا فى هذا الشأن .

تماسكت على نحو يدعو للإعجاب ، وهى تقول :

ــ إنه القدر يا أستاذ (عصام) .

ثم اعتدلت ، وهى تقول فى حزم :

ــ وعزائى أن أبى قد بذل روحه فى سبيل الحق .

أضاف (عصام) فى حماس :

ــ وفى سبيل الوطن .

أومأت برأسها موافقة ، فعاد يسألها فى أسف وإشفاق :

ــ ماذا ستفعلين ؟

هزَّت كتفيها ، وهى تقول :

ــ سأعيش .

ارتبك ، وهو يغمغم :

ـ بالطبع ، ولكننى أُغنى كيف ؟

أشارت إلى شاب يقف على قيد خطوات منها ، وقالت :

ـ لقد أشار علىَّ خطيبى (عوض) ببيع المركب ، فهو لا يجيد الصيد ، ثم إنه معيد فى كلية الآداب ، وأنا أنتظر خطاب التعيين ، و .....

بترت عبارتها لحظة ، وخُيِّل لـ (عصام) أنها تَزْدَرِد لُعَابها فى صعوبة ، قبل أن تجبر شفتيها على رسم ابتسامة ، وتقول :

ـ باختصار ، ستواصل مركب الحياة رحلتها ، فى مجرى الزمن .

غمغم فى خُفُوت :

ـ إنها طبيعة الدنيا .

ثم صافحها مرَّة أخرى ، مستطردًا :

ـ إذا ما احتجت إلى أيَّة مساعدة ، فسَأكون دَوْمًا رهن إشارتك .

ابتسمت فى شُحُوب ، وهى تغمغم :

ـ أنا واثقة من ذلك .

ثم ابتعدت ، وتأبَّطت ذراع خطيبها ، واتجها معًا نحو (بحيرة الأسرار) ..

* * *

صافح اللواء (فؤاد ماهر) (عادل محمود) فى حرارة ، وهو يقول فى إعجاب واضح :

ـ عملية رائعة يا (عادل) .. إنك تثبت صحة ذلك المثل الشعبى ، الذى يقول : « يموت الزَّمَّار ويداه تعزفان » .

ابتسم (عادل) ، وهو يقول :

ـ تقريبًا .

لوَّح اللواء (فؤاد) بكفِّه ، وهو يبتسم ، قائلًا :

ـ هل تعلم أن أسلوبك قد ذكَّرنى بالأيام الخوالى ؟

ابتسم (عادل) فى سُخرية ، وهو يقول :

ـ عجبًا !!.. يلُوح لى أننى لم أعُد أذكرها .

هتف اللواء (فؤاد) :

ـ كيف ؟.. إنها أفضل أيام .. لقد كنَّا أيامها فى حالة حرب مع (إسرائيل) .. أقصد حربًا علنية بالطبع .. أنت تفهمنى .. أليس كذلك ؟

أومأ (عادل) برأسه علامة الفهم ، فاستطرد اللواء (فؤاد) فى حماس :

ـ كانت اللُّعبة أيامها تستغرق وقتًا أطول ، وكُنَّا نلعبها باستمتاع شديد ، ثم نربحها فى النهاية .

غمغم (عادل) :

ـ كان هذا أيام الحرب .

وضع اللواء (فؤاد) يده على كتف (عادل) فى قوة ، وهُو يقول :

ـ ومن قال إن هذه الأيام قد انتهت ؟.. صدّقنى .. الحرب تبقَى دَوْمًا ، وإن دلّت الظواهر على العكس .

ثم مال نحوه ، وغمز مستطردًا :

ـ إن حربنا دائمًا سرّية .. أليس كذلك ؟

ابتسم (عادل) فى سُخرية ، مغمغمًا :

ـ كان ذلك فيما مضى .

تراجع اللواء (فؤاد) ، وهو يهتف :

ـ عجبًا !!.. هل نسيت قواعد اللُّعبة ؟

هزَّ (عادل) كتفيه ، وقال :

ـ هذا طبيعى ، فالعضو المهمل يَضْمُرُ ، كما تقول نظرية (داروين) .

ابتسم اللواء (فؤاد) ، وهو يقول :

ـ يا للأسف !! هَذَا يعنى أنك ستحتاج إلى دَوْرة مكثّفة ، حتى تستعيد سمعتك الأسطورية .

عقد (عادل) حاجبيه ، وحدّق فى وجه اللواء (فؤاد) لحظة ، ثم غمغم فى دهشة :

ـ سيّدى ؟!.. هل تَعْنِى .....؟

قاطعه اللواء (فؤاد) مبتسمًا :

ـ بالطبع أيها العقيد ، أيًّا كانت أسباب عزلك من سلك الشرطة ، فلقد رأى السيّد رئيس الجمهورية أنه من الخسارة ألا نستفيد من مهاراتك وكفاءتك ، فأصدر قرارًا بإعادتك للعمل ، تحت إمرتى ، فى مباحث أمن الدولة .

ثم مدّ يده يصافحه ، واتسعت ابتسامته ، وهو يُرْدِف :

ـ مُبَارَك يا ولدى .. أنت منذ هذه اللحظة مدير إدارة مكافحة التجسُّس ..

* * *

هتف (عصام) فى سعادة ، وهو يقود سيارته عائدًا إلى (القاهرة) :

ـ رائع يا (عادل) .. أنت تستحق المنصب بالفعل .. إننى أشفق على أى جاسوس يتخطَّى حدود البلاد ، منذ هذه اللحظة .

غمغم (عادل) فى هدوء :

ـ الأمر بالنسبة لك لن يختلف .

سأله (عصام) فى دهشة :

ـ ماذا تَعْنِى ؟

أجابه فى هدوء شديد :

ـ أعْنِى أن منصبى الجديد يستلزم السِّرِّية البالغة ، وفى الوقت ذاته ، من الأفضل أن يعرف الشعب ما الذى نفعله من أجله ، و .....

قاطعه (عصام) فى انفعال :

ـ وما الذى تَعْنِيه هذه المقدِّمة الطويلة ؟

التفت إليه (عادل) ، وابتسم ، وهو يقول :

ـ تَعْنِى أن مقالاتك ستظل تحمل التوقيع نفسه يا (عصام) ، وأنك ستظل دَوْمًا المتحدِّث الرسمى باسم فريق (ع × ٢) ..

* * *

[تمت بحمد الله]

ملف المستقبل ع × ٢ رات

سلسلة ألغاز بوليسية مثيرة للشباب
تنشط العقل وتنمي الفكر والذكاء ..

المؤلف

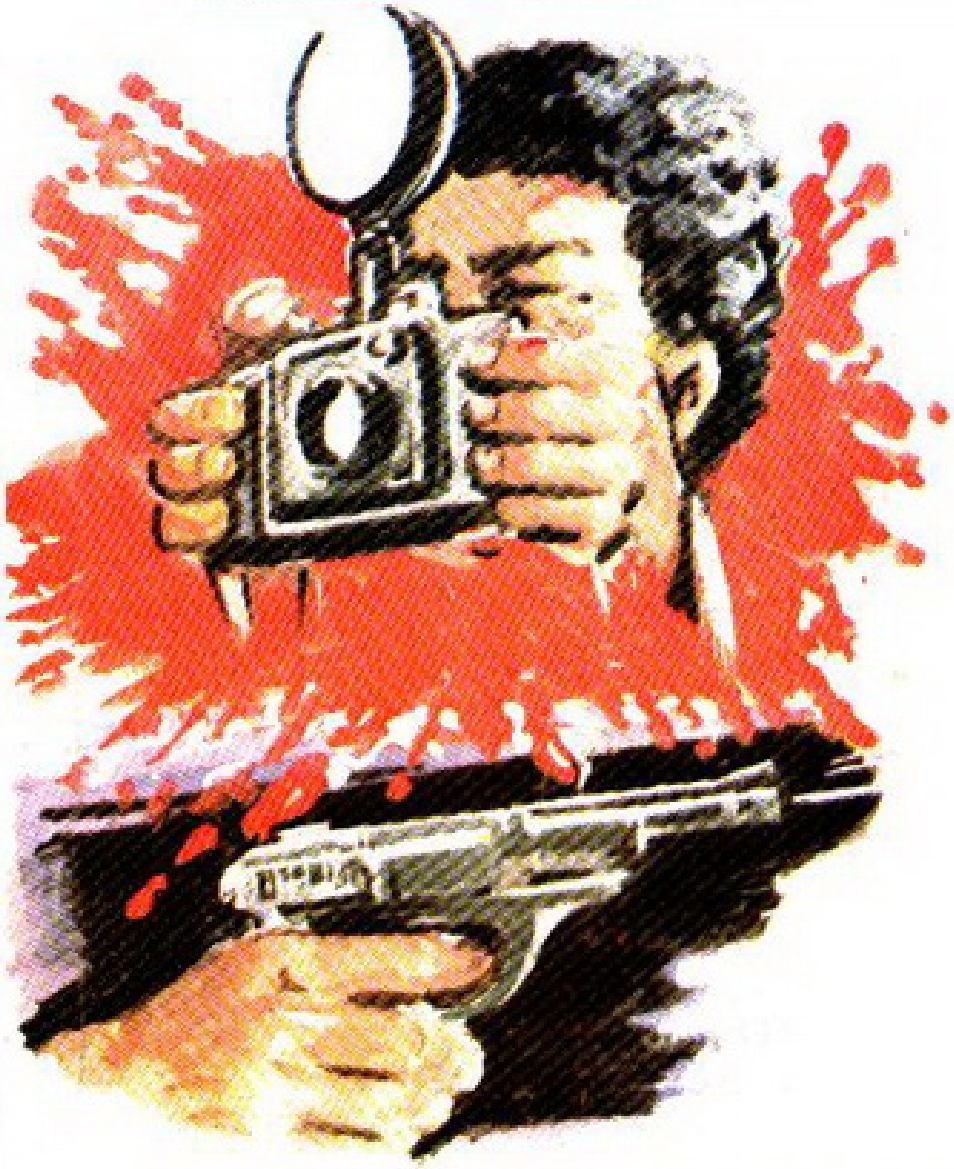

د. نبيل فاروق

قضية بحيرة الأسرار

- قضية رجل يختفي فجأة ، في بحيرة (البرلُّس) ، بلا سبب ، أودليل ، أو أيّة معلومات .. لماذا اختفى؟ .. وكيف ؟
- تُرى .. كيف يواجه الفريق الجديد هذا اللُّغز الجديد ؟
- اقرإ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (عادل) و (عصام) ، من أجل حلّ اللُّغز .

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الثمن في مصر
وما يعادله
في سائر
قرش جنيه
١,٠

العدد القادم
(قضية كنز القلعة)